علي القاضي

وظيفة المرأة
في المجتمع الإنساني

الطبعة الأولى : ١٩٨٤ م
الناشر : مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة
ت / ٤١٨٣٢٩ ـ ٤١٢٠٩٢
ص .ب : ٤٢٤٤ ـ تلكس : ٤٦١٥ د .هـ ـ الدوحة / قطر
ص .ب : ١٨٤٢٢٠ ـ عمان / الأردن

WOMEN IN HUMANKIND

1st edition: **1984**
Publisher: **Orient Public Relations, Publishing & Translation**
Tel. 418329, 412092
P.O. Box 4244, Telex: 4715 O P R DH, Doha - Qatar
P.O. Box 184220, Amman - Jordan

المقـــــدّمة

لقد غزانا الاستعمار بجيوشه - كما غزانا بأفكاره - ووضـع الخطة ليحيط بنا من جميـع النـواحي فلا نستطيـع فكـاكـا - نعم لقد وضع الخطة الكاملة المتكاملة لذلك - حتى أصبحنا كما قال الفيلسوف الجزائري المسلم مالك بن نبي : « **كمن يسكن بنـايـة من طوابق كثـيرة ونظـر سكـان الأدوار العليـا - فإذا بحـريق يشب أسفلهـا فلا يدرون ماذا يفعلون ؟ فألقـوا بأنفسهم من أعلى إلى أسفـل - فإذا بالنار تحيط بهم وإذا بهم في حيرة كبيرة ثم قال** : « **النار هي الحضارة الغربية** » .

وكان للمرأة المسلمة نصيب كبير من مخططهم وتحت اسم حقوق المرأة وتحت اسم : **مساواة المرأة بالرجل** .

بدأ الغزو الفكري من نـواحٍ متعددة - فهم يتهمون الإسلام بأنه لا يعطي للمرأة حقـوقهـا . . . وأنـه يحبسهـا في عقـر دارهـا . . وأنه لا يسمح لها بالتصرف في أي شيء . وهم في ذلك يخلطون بين الإسلام وبين العادات والتقاليد التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية .

ومرة أخرى يتهمون الإسلام بعدم محافظته على الأسرة لأنه أباح الطلاق وتعدد الزوجات - وهم في ذلك ينظرون نظرة بشرية سرعان ما ظهر بطلانها فإذا بهم يغيرون ويبدلون . .

ومرة ثالثة يتهمون ويتهمون . . .

ومرت فترات طويلة - كنا فيها في دور المستقبل لا المرسل فكنا نظن أن ذلك كله حق وقام بعض أدبائنا ومفكرينا يحملون دعوة الغرب بشأن المرأة وكأنها مسلمات وأخذوا يرددون أقوال الغرب ويؤكدون على صحة هذه المفاهيم وعملوا جاهدين على خروج المرأة من البيت ودخولها إلى ميدان العمل بحجة :

المساواة بين الرجل والمرأة .

وإعطاء المرأة حقوقها ،

وعدم تعطيل نصف المجتمع عن العمل والإنتاج .

وهذه نظرة مادية صرفة - لأن تربية العنصر البشري « **وهي وظيفة المرأة التي خلقت من أجلها أثمن من أي شيء في هذه الحياة** » . . .

ورأى الغربيون أن المرأة المسلمة المتعلمة هي أطوع إليهم من غيرها - لأنهم ربوها على هذه المفاهيم فساعدوها على إنشاء الجمعيات النسائية والصحافة النسائية وقامت كلها بحمل رسالتها التي أرادتها لها الحضارة الغربية . .

وهذا الكتاب إنما هو محاولة لإبراز وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني كله - كما هيأتها لها الفطرة - وذلك على أساس علمي مأخوذ من الثقافة الغربية .

وستجد أيها القارىء العزيز :

في الفصل الأول :

دراسة تبين أن المرأة مختلفة عن الرجل في كل ناحية من نواحيها البيولوجية والفسيولوجية والعقلية والسيكلوجية وغيرها ـ إلى درجة ان العالم الكبير الحائز على جائزة نوبل الدكتور الكسيس كاريل يقول في كتابه الإنسان ذلك المجهور : « كل خلية فيها تنطق بأنها أنثى » .

وفي الفصل الثاني :

تناولت الدراسة أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل وللأم معاً ـ ذلك لأن المرأة العاملة بدأت في ترك الرضاعة الطبيعية ـ حتى تتفرغ لوظيفتها الجديدة ـ وحتى تحافظ على جمالها ورشاقتها ـ وبينت الدراسة أثر ذلك على الأطفال من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية وأثر ذلك أيضاً على الاطفال وعلى المجتمعات بصفة عامة ـ وتحدثت عن المؤتمرات المختلفة التي عقدت على مستوى الدول العربية وعلى مستوى هيئة الأمم المتحدة .

كما بينت الدراسة المؤامرات التي تحاك لأطفال العالم الثالث :

- فهم مرة يركزون على أهمية الرضاعة الصناعية ليكسبوا من وراء ذلك الأموال الطائلة . .
- ومرة أخرى يأخذون لبن الأم الطبيعي ليغذوا به أطفال الغرب . . وهكذا .

وفي الفصل الثالث :

دراسة عن المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة الغربية المعاصرة وأثر ذلك في :

- **الأطفال .**
- **وعلى المرأة .**
- **وفي تخلخل الأسر .**

وحتى المساواة بين الرجل والمرأة - إنما هي مساواة زائفة والمرأة تدفع ثمن ذلك كله غاليا فالأمراض الجسمية والنفسية أصابت المرأة من جراء هذا الانحراف في الفطرة - وهذه المساواة بدأت في إظهار جنس ثالث في طريقة إلى الظهور .

وبدأت هذه المتاعب تنتقل إلى حواء العربية - عن طريق الاكتئاب النفسي وزيادة معدلات الجريمة إلى جانب الأمراض المختلفة التي أصابت الأطفال والتخلخل الذي أصاب الأسر .

وفي الفصل الرابع :

تتناول الدراسة إدراك المرأة الغربية للمخاطر التي أحاطت بها وبزوجها وأسرتها ومجتمعها - فبدأت تستجيب لنداء الفطرة وتطالب العودة إلى المنزل وبحمل رسالتها الأصلية - وهي تربية الأجيال وبعث الهدوء والسكن والاطمئنان في البيت . . .

وقامت جمعيات نسائية تطالب بذلك وتركت سيدات الوظيفة للتفرغ إلى البيت ـ كما بينت ما تفعله المرأة اليابانية .

وكيف تغبط المرأة الغربية المرأة العربية لاستقرارها في بيتها وجعل الرجل هو المسؤول عن البيت والقوام على الأسرة .

وفي الفصل الخامس والأخير :

حديث قصير عن المرأة في الشريعة الإسلامية . . .

والمقصود منه إتمام الدراسة من جانبها الإسلامي بصفة عامة ومن هذه الزاوية ذلك لأن هذا الموضوع به كتابات كثيرة متنوعة ومفصلة .

فإذا وفقت في ذلك فالفضل لله وحده وإذا لم أوفق ـ فإنما هو جهد المقل وعلى الله قصد السبيل .

وصدق الله العظيم القائل :

﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

علي القاضي

الفصل الأول

الفروق المختلفة بين الرجل والمرأة

تمهيد :

الحديث حول وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني يطول ويطول ـ وتختلف الآراء فيه من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع .

ولقد مرت بنا فترات طويلة ـ كنا نظن فيها ان وظيفة المرأة مساوية لوظيفة الـرجـل تقـريبـاً ـ حتى كاد ان يكـون هذا من المسلمات في المجتمـع الغـربي - وبالتالي في المجتمعات المقلدة له أو التي أخذت ثقافتها عنه ، وأصبح الإيمان بذلك دليـلاً على التمـدن والحضـارة ، ومـا عداه دليـل على التخلف والرجعية ، وعدم الفهم لتطورات الزمـــــن .

وهذا أخذ للأمور من زاوية واحدة ، وما زال الغربيون يكررون ويعيدون هذه المعاني حتى صدقها المقلدون ، ثم مازالوا يكررونها حتى صدقوها هم أنفسهم .

وترتب على هذا توحيد مناهج التعليم للفتيان والفتيات في جميع المراحل ، كما ترتب عليه اشتراك المرأة في جميع الوظائف والأعمال الخارجة عن البيت ، وبالتالي ـ ترتب عليه أيضا ترك المرأة لوظيفتها الأصلية التي خلقها الله لها ، وهي تربية الأجيال ـ وبدأ الأطفال يتربون في دور الحضانة والمستعمرات وما إلى ذلك .

ولقيت البشرية من وراء ذلك ـ متاعب لا حصر لها حين شب هؤلاء الذين لم تربهم أمهاتهم وخرجوا إلى المجتمعات بأمراض جسمية وأمراض نفسية ، وسببوا للمجتمعات متاعب لا حصر لها وألوانا من المشكلات التي يحاولون أن يخففوا من حدتها ، وأن يوجدوا الحلول لعلاجها .

ثم

بدأ جنس ثالث في طريقه إلى الظهور ـ لأن المرأة حين تخلت عن وظيفة الأمومة ـ بدأت تضمر فيها هذه الخصائص ، حتى أصبح من المتوقع ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

وبدأ

العلم الغربي يعطينا بأبحاثه معلومات جديدة تفيدنا في بيان حكمة

الإسلام في تشريعاته والله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان هو الذي شرع له - وهو أدرى به وباحتياجاته وليس من حق أحد أن يشرع للبشرية - اذ أن علمه قاصر على زاوية واحدة .

وقد كشف العلم الحديث فروقاً متنوعة بين الرجل والمرأة في التكوين البيولوجي والفسيولوجي والنفسي وغير ذلك - مما يدل على أن لكل منهما وظيفة في الحياة - وان كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

الفروق البيولوجية :

والفروق الموجودة بين الرجل والمرأة تبدأ في وقت مبكر جداً - بل أنها تبدأ قبل الحمل - ويظهر ذلك في الفرق الموجود بين الحيوان المنوي للذكر والحيوان المنوي للأنثى والسؤال الذي طرحه العالِم الأمريكي دكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه هو :

« هل الكائنات الدقيقة التي تسمى علمياً (الحيوانات المنوية) أو بذور الحيوان للإنسان - كما يسميها الدكتور شبنلر نفسه - هل هذه الكائنات المنوية التي تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟

ومن المعروف أن الكائنات التي تحمل الكروموزوم × إذا لقحت البويضة جاء المولود أنثى - وإذا كانت تحمل معها الكروموزوم ٧ جاء المولود ذكراً .

وأخـــذ :

العـالم وأعـوانـه يفكـرون لماذا يسبق الكـروموزوم × الكروموزوم ٧ في سباق الحياة أو العكس ؟

هل يحدث هذا عفواً حسب الظروف ؟ وإذا كان الأمر كذلك - فهل بينهما اختلاف في التكوين البيولوجي ؟

وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه أن الكروموزوم الذي ينتج الأنثى - يتميز بأنه يتجمع جنباً إلى جنب وبأنه بطيء الحركة وإن كان أكثر تحملًا للبيئة ، ولذلك يعيش مدة أطول - كما أنه ينتعش ويزداد حيوية إذا وجد في المواد الحمضية أما الكـروموزوم الـذي ينتج الـذكـر فإنـه يتمتـع بسـرعـة الحـركـة والحيـويـة الشديدة ، ويزداد حيوية وانتعاشاً - إذا وجد في المناخ القلوي ولكنه أقل تحملًا لظروف البيئة - ويموت بسرعة .

ويوضـــح :

العـالم الفـاضـل - دور كل من الأبـوين في تكـوين البويضة فيقول : « **ان الأب والأم يسهمان بقدر متساو في تكوين البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم الجـديـد - لكن الأم تهب - علاوة على نصف المـادة المنـويـة - كل البر وتوبلازم المحيط بالنواة** » .

وهكذا :

يتضح منذ البداية الفرق بين بويضة الذكر وبويضة الأنثى في خصائص كل منهما - كما يتضح مقدار إسهام كل من الأبوين في تكوين الجنين .

ومن ناحية أخرى :

يبين لنا الدكتور الكسيس كاريل - الحائز على جائزة نوبل للعلوم - الفرق بين الرجل والمرأة في كتابه : « **الإنسان ذلك المجهول** » فيقول : (**إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحم والحمل - وهي لا تتحدد أيضاً في اختلاف طرق تعليمهما - بل إن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كل منهما كما أن المرأة تختلف عن الرجل كلياً في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم داخل جسمها - فكل خلية في جسمها تحمل طابعاً أنثوياً - وهكذا تتكون أعضاؤها المختلفة - بل وأكثر من ذلك - فهذا هو حال نظامها العصبي**) .

ثم يقول :

(إن قوانين وظائف الأعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك - حيث لا يمكن إحداث أدنى تغيير فيها إلا بفناء البشرية - وعلينا أن نسلم بها كما هي - دون أن نسعى إلى ما هو غير طبيعي) .

ثم يهتف قائلاً :

(والـذين ينـادون بمسـاواة الجنس اللطيف بالـرجـل يجهلون هذه الفـوارق الأساسية وعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وأن يبتعدن عن تقليد الرجال) .

ويمضي كاريـــل في بيـان أثـر هذا الاعتقـاد في السـير بالمـرأة إلى طريق لا يتناسب مع استعداداتها فيقول :

(ولقـد أدى الجهـل بهذه الحقـائق الجـوهـريـة بالمدافعين عن الأنوثة ـ إلى الاعتقـاد بأنـه يجب أن يتلقى الجنسـان تعليـماً واحـداً أو أن يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة ـ والحقيقة أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافاً كبيراً ـ فكل خليـة من خلايـا جنسهـا تحمـل طابـع جنسهـا ـ والأمـر نفسـه صحيـح بالنسبـة لأعضائها ، وفوق كل شيء ـ بالنسبة لجهازها العصبي ـ فالقوانين البيولوجية غير قابلة للتغيـير ـ شأنهـا شأن قوانـين العـالم الكـوكبي ـ فليس في الإمكـان إحـلال الرغبات الإنسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها ـ فعلى النساء ان ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ـ فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ـ فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة ـ ثم بين خصيصة من خصائص الأنثى البشرية فقال (وعلى أي حال فيبدو ان النساء اللاتي لم يلدن لسن متزنات كالوالدات ـ فضلاً عن أنهن أكثر عصبية منهن) .

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر في بيان الفروق البيولوجية الأساسية بين الرجل والمرأة « بار » وهو أول مكتشف للخاصية التي تتلخص في أن : خلية الأنثى تحتوي في طرف منها على جسم كروي صغير لا يوجد في خلية الرجل - ثم بدأ بعد ذلك في كل الخلايا في الدم والكبد والقلب والأمعاء وباقي الأنسجة فثبتت الحقيقة وهي : أن كل خلية من خلايا الأنثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروي - وأضيفت صفة أخرى للأنوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المدونة .

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس في كل الخلايا المذكورة والمؤنثة - تحتوي خلية الذكر علي كروموزوم × وآخر ٧ - بينما تحتوي خلية المرأة على زوج من كروموزوم × وتصبح علامة الذكر × وعلامة الأنثى ×× - ويقول بار : إن الجسم الكروي الذي اكتشفه هو أحد الكروموزمين الموجودين في الخلايا الأنثوية - ولقد أكد ذلك أن الذكور الذين يعانون من تشويه خلقي وراثي يحملون كروموزمات جنسية أكثر من المعدل - كأن يحمل أحدهم ×× .

ولقد أثبت علم الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في الصورة والسمت والأعضاء الخارجية وفي ذرات الجسم والجواهر الهيولينيه (**البروتينية**) لخلاياه النسيجية - فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقى التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة - فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد

به لولادة الولد وتربيته ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها . . .

وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلية .

الوزن والعظم :

أثبتت الدراسات العالمية ـ التي اتجهت إلى بحث هذه الفروق بين الرجل والمرأة ـ في هذه الناحية ـ : أن الرجل أثقل وزناً وأطول قامة . . . وهذا راجع إلى الكثافة النوعية لعظام الرجل ـ حيث يوجد نوعان من العظام : العظام المحبوكة أو المكتنزة ، والعظام الإسفنجية .

وتمتاز العظام الأولى بصلابتها وشدة تماسكها وذلك لقلة الكالسيوم فيها أو لسوء التوزيع الترسيبي لمكونات العظام وتمتاز عظام الرجل الطويلة بأنها من النوع الأول ـ في حين نجد أن النوع الثاني ينتشر عند المرأة أكثر منه عند الرجل ـ وذلك نتيجة لعوامل طبيعية وفسيولوجية .

وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدها ـ كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضلي عموماً عند الرجل أكبر منه عند المرأة ـ إذ تبلغ نسبته ٤١ ٪ من فروق جسمه في حين تبلغ عند المرأة ٣٥ ٪ فقط .
ونتيجة لطول عظام الأطراف عند الرجل وقصرها عند المرأة ـ فإننا نجد أن

مركز الثقل عند المرأة يعد أكثر انخفاضاً ـ وهذا له تأثير في الحركة من حيث القوة . . . كما أن عمودها الفقري أكثر انحناء من الرجل وهذا يؤدي إلى ظهور الشيخوخة مبكرة عندها .

وفي منطقة الحوض نجد أن الله سبحانه وتعالى ـ وهب المرأة حوضاً يمتاز باتساعه وضعف أربطته فحرقفتاه متعرجتان إلى الخارج كثيرًا ـ ومنطقة التحامهما متسعة وذلك لتيسير العملية البيولوجية التي اختصت المرأة بها دون الرجل ـ في حين نجد أن حوض الرجل تزداد استطالته ويقل اتساعه وتزداد شدة الربط في العضلات حوله .

وبالنسبة للصدر : نجد أن صدر المرأة أضيق منه عند الرجل بكثير ـ وعظام البدن والأكتاف تكون عندها أضعف ـ وشكلها ليس مستقيماً تماماً ـ أما عضلات ذراعيها فهي أضعف بكثير منها عند الرجل ، وجسم المرأة له قابلية أكثر لتخزين الشحم ـ إذ أن كل جسمها قابل لتجميع الدهون على صورة شحم ـ في حين أنه يتجمع في مناطق معينة عند الرجل في البطن والردفين ، وتبلغ نسبة الشحم عند الرجل ١٨ ٪ من وزنه وعند المرأة ٢٨ ٪ ، ويمكننا أن نلاحظ العلاقة بين النسيج العضلي والنسيج الدهني . . ومن هنا فإننا نجد أن عضلات المرأة تقل في القوة عن عضلات الرجل بنسبة **٢٥** ٪ ـ كما أن الرجل بمقدوره زيادة قوة عضلاته بممارسة الألعاب الرياضية بنسبة ٨ ٪ ـ في حين أن المرأة لا يمكنها ذلك إلا بمقدار ٤ ٪ فقط كما أن متوسط حجم المخ للرجال أكبر بقليل من متوسط حجم مخ النساء .

والفتيات : في الغالب أقل في القوة البدنية من الصبيان ، وأعصابهن أكثر تأثـراً وأسـرع توتـراً من البنـين - ولـذا فإنهن أكثـر تعرضاً للتعب والاجهـاد العصبي . . . وربما فسر هذا باستنفاد جزء غير قليل من الكالسيوم المختلط بالدم - وهن أقـل كفـايـة لقلة الهيموجلوبين به - مما يجعلهن أكثـر تعرضاً للأنيميا بعد البلوغ ، وعنـد بلوغ سن الخامسـة نجـد أن معظم الأطفـال يكـونون على وعي بكثير من أنواع السلوك مع جنسهم - ولو أنك عرضت عليهم سلسلة من الصور التي تعرض أشياء أو أوجه نشاط تتفق مع اللعب التي تتناسب مع البنات - لوجدنا أن الغالبية العظمى في سن ٣ /٥ - يصرحون بأنهم يفضلون الأشياء التي تتناسب مع جنسهم ، ويـزداد ذلـك خلال سنـوات ما قبـل الـدراسـة - فالفتيات يفضلن اللعب بالعـرائس وأدوات المطبـخ والفتيـان يفضلون اللعب بالمسـدسات ، وهكذا يتجه كل جنس إلى إعداد نفسه إعداداً يؤهله لأداء وظيفته في مستقبل أيامه .

وفي فترة المـراهقـة : يتصف النمـو الجسمي بالـزيـادة المفاجئة ويزيد معدل السرعة في بدء المرحلة عنه في نهايتها ، ويتأخر الذكور عن الإناث بعامين تقريباً بالنسبـة لبـدايـة هذه التغـيرات ، والإنـاث عادة أطـول وأكـبر وزناً من الذكور ، والقوى البدنية تتضاعف في الذكور فيما بين سن ١٢ - ١٥ - والإناث لا يبلغن هذه النسبـة ، ويـزداد وزن البنت قليـلاً عنـد بداية المراهقة أونهاية مرحلة الطفولة المتأخرة - ويكون رأس الولد عادة أكبر حجماً من رأس البنت في جميع مراحل النمو تقريباً .

فالنمو الجسمي : أسرع في البنات - ولذلك فإن الأنثى تشعر بحاجتها إلى

اهتمام الذكر ـ قبل أن يشعر الذكر بحاجته إلى الأنثى . . . والبنات في السنوات الأولـى من المـراهقـة يبـدأن في التكـوين بسـرعة تفوق سرعة تكوين الذكور ، فتصبح البنت أطول من زميلها في نفس السن ، ويتعرض جسمها لتغيرات أوضح ويبرز صدرها وتستدير أردافها .

وتبلغ البنات قبل البنين وبعد البلوغ تقل كمية الهيموجلوبين التي بالدم عند البنـات ، ولـذلـك فإنهن يصبحن عرضـة للتعب ، وتقـل قدرتهن على مواصلة العمـل . . . وينتـج عن ذلـك سهـولـة تعرضهن للأنيميا والنساء أطول عمراً من الرجل ، وأقدر على مقاومة الكثير من الأمراض المعدية ، والذكور أقل تعرضاً من الإناث للتقلبات التي تعتري توازن البيئة العضوية الداخلية ـ أي أنهن أكثر ثباتاً في درجة الحرارة واتزان عمليتي الهدم والبناء ومستوى السكر في الدم وغير ذلك .

الفروق الفسيولوجية :

ومن النـاحيـة الـوظيفيـة الفسيـولـوجيـة ـ فإن أعضـاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية ، فنجد أن كبد الرجل ودمه يحتويان على كمية اكبر من الحديد ، والذى يتحد مع المادة البروتينية ليكون اليحمور الذى اختص بنقـل الأوكسجـين المستخـدم فى الاحـتراق وإنتاج الطاقة التى تستخدم فى الحركة والتفكير ، كما نجد أن دم الرجل المدفوع من القلب إلى الجسم كل دقيقة يبلغ ٣٢ لترًا – فى حين أنه عند المرأة ٢٥ لترًا فقط . . وتبلغ نسبة اليحمورالموجود فى

دم الـرجـل ٨٨٠ جراماً وعنـد المـرأة ٦٦٤ جراماً . . وتبلغ نسبـة الأوكسـوجـين المستخدمة فى كل دقيقة ٢٥٠ ميليمتر فى حينتبلغ عند المرأة ٢٠٠ ميلليمتراً أو أقل نتيجة لحجم العقل ، وتقل كفاءة دمها في نقل الأوكسوجين . . . وفي ذلك يقول فيروسيه في دائرة معارفه : (إنه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي - نرى مزاجهـا العصبي أكثـر تهيجـاً من مزاج الـرجـل ، وتركيبها أقل مقاومة - لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والوضع تسبب لها أمراضاً قليلة أو كثيرة الخطر .

أمـا مقـدار ما يفقـده الـرجـل من الحـديـد يوميـاً في عمليـات الامتصاص والإخراج - فيبلغ ٦ ٪ ميلليجرام بينما تبلغ نسبة مقدار فقدان المرأة ١ - ٢ مليجرام يوميـاً في أثنـاء العـادة الشهـريـة - ونتيجـة لقابلية جسم المرأة لتجميع الشحوم - نجدها أقل حيوية وأكثر عرضة لتصلب الشرايين والجلطة التاجية - كما أن العملية الطبيعية كالعادة الشهرية والحمل والوضع والإرضاع - نجد أن لها تأثيراً عضوياً - وذلك لفقدها كميات كبيرة من المواد الغذاية الضرورية في أثناء هذه الحالات - وهذا يؤدي إلى ضعفها وضعف نشاطها يقول الدكتور درفاريني في دائرة المعارف الكبيرة : « إن المجموع العضلي عند المرأة أقل منه كمالاً عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند المرأة أصغـر وأخف بمقدار ٢٠ جراماً في المتوسط - فالرجل أكثـر ذكـاء وإدراكـاً والمـرأة أكثر انفعالاً وتهيجاً » كما يقول نيكوليه في دائرة المعارف الكبيرة : إن الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل » .

ومن المعروف فسيولوجياً : أن هناك فرقاً بين الأحبال الصوتية للمرأة - فهي قصيرة ورقيقة أما في الرجل فهي طويلة وغليظة .

وقد لاحظ أطباء القلب في ضيق الصمام الميترالي - أنه يوجد بنسبة أعلى قليلاً في النساء عنه في الرجال - وأن أمراض القلب الناتجة عن نشاط زائد في الغدة الدرقية - تكون نسبة إصابة النساء فيها ثلاثة أضعاف إصابة الرجال - وذلك لأن مرض الغدة الدرقية التسممي أكثر حدوثاً للنساء لماذا ؟ قال الأطباء : قد يكون للتغيرات الشهرية وتأثير الحمل والولادة والرضاعة أثر في ذلك .

الفروق السيكلوجية :

ومن الناحية النفسية أو السيكلوجية - نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل - وهذه هبة من الله الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره - اذ أن الوظيفة الرئيسية للمرأة هي تربية الأطفال وتنشئة الأجيال - وهذا يتطلب كثيراً من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيره لابنه - ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثراً بالظواهر الطبيعية - فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح .

كما أن نفسية المرأة أضعف منها عند الرجل - حيث أنها لا تستطيع حفظ الأسرار - حتى قالوا فيها : إذا أردت إفشاء سرك فبلغه للمرأة - وقالوا : « **المرأة التي تحفظ السر ليست امرأة** » ولذلك قالوا : « الجنس اللطيف » .

وقد سأل الباحثون النفسيون أنفسهم سؤالاً - كيف يختلف الرجال عن

النسـاء في استجـابتهم للإحبـاط ؟ وكـانت الإجـابة : هناك من الشواهد النفسية ما يبين أن النساء على الأقل ـ كما يصفن أنفسهن ـ في الاختبارات الشخصية أكثر حسـاسيـة وأكثـر انفعـاليـة ـ ويسهـل تأثـرهن وانخـراطهن في البكاء ـ إذا قورن بالـرجـال . . . ولقـد اتضـح أن النساء يبدين في هذه الاختبارات مخاوف أكثر من الرجال ـ وأنهن يحصلن على درجات في القلق أعلى منهم .

ولقد اتضح لفيشر في بحوثه التي أجراها عام ١٩٦٨ م : أن الاناث بصفة عامة يحكمن على الوقائع المضايقة ـ بأنها مضايقة بدرجة أكبر من الذكور ـ وفي الـوقت نفسـه قدر النسـاء الـوقـائـع السـارة باعتبـارهـا ممتعـة ـ بدرجـة أكـبر من الرجال . . وخلاصة بحثه : أن الخبرة المحبطة تثير النساء بدرجة أكبر من الرجال ـ ويفرحن بالسار منها بدرجة أكبر .

والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكبر من فكرة ما ـ على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الأشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالأشياء ذاتها ـ واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسنات أكثر من المعنويات .

يقول الاستاذ عباس العقاد : « ان المرأة لها تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكـوين الـرجـل ـ لأن ملازمـة الطفل الـوليد لأمه تستدعي شيئاً من التناسب بين مزاجهـا ومـزاجـه وبـين فهمهـا للأمور وفهمه وبين مدارج حسها وعطفها ومدارج

حسـه وعطفـه . . وذلـك أصـول اللب الأنثـوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجـابـة للعـاطفـة ـ فيصعب عليهـا ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة » .

ويقـول بيرت : « إن انفعـالات الـرجـال أعمق وأطـول أثراً من انفعالات النساء ـ ولكنها أقل ظهوراً بعكس النساء اللاتي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو إخفاء . . وسرعة تأثر النساء بالانفعال تجعلهن أكثر تأثراً بالانفعـالات والـوجـدانـات ـ كما أنهن أكثـر اكـتراثـاً للمدح والثناء أو التوبيخ ـ والبنت تستمع للنصح من الرؤساء أو المعلمين وتتقبله من غير معارضة ـ والصبي يعارض ويناقش ويحاول قبل ان يسلم ويخضع . . والبنت تميل الى الاقتناع بسرعة ـ بأشياء لا يقبلها الصبي إلّا بعد المناقشة » .

وقـد قام بيرت بدراسـة على المجـرمـين وقسم إجـرامهم إلى أقسـام على أساس الدوافع الغريزية وقال : « إن جرائم الصبيان هي : التشاجر والقسوة على الحيـوانـات والتشـرد ـ أما البنـات فإن جرائمهن هي : الأمـور الجنسيـة والكذب ومحاولة الانتحار » .

ومما هو جدير بالذكر أن المؤلفة السيدة « جان موريس » كانت رجلاً ـ وكان اسـمـهـا « جيـمس » تزوجـت وأنـجبت ـ ثم تحولت إلى أنثى وأخـذت تروي مشـاعـرهـا بدون خجـل ـ وقـد تعـرض الكتاب لهجوم من نساء بريطانيا ـ لأنها انحـازت في كتـابهـا إلى الـرأي القـائل : بأن المرأة أضعف من الرجل ـ وأعادت

تأكيد الشعار الذي تكرهه زعيمات النساء « إن قوة المرأة تكمن في ضعفها وامتيازها يكمن في نقصها » .

الفروق العقلية :

وتثبت الدراسات النفسية أن هناك فروقاً في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة - يقول الدكتور جابر عبد الحميد - رئيس قسم علم النفس في جامعة قطر في كتابه : الذكاء ومقاييسه » لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية - كذلك يتفوقون على الإناث في الاختبارات العديدة التي تتطلب الاستدلال وتتفوق البنات في اختبارات الدقة والخفة في استخدام الأصابع مع الادراك الكافي للتفاصيل - كما يتفوقون في القدرة على القيام بأعمال السكرتارية - وأظهر الزمن دائماً تفوقاً واضحاً في القدرة اللغوية - ويبدأ هذا الفرق في الظهور في سن مبكرة ، ويستمر طوال الحياة ، وتمتاز البنات في معظم اختبارات التذكر .

والصبي في تفكيره أكثر ابتكاراً واستقلالاً في الرأي ، وأكثر انتباهاً وحذراً من الأخطاء المنطقية التي تتخلل المناقشة . . . وعلى اكتشاف العلاقة التي بين الحقائق أو الظواهر - وهو أدق في ذلك من البنت - ولكن البنت أكثر منه صبراً - وأكثر أناة في جمع الحقائق وتبويبها وتصنيفها .

وقد أجرت احدى اللجان الانجليزية عام ١٩٢٢ احصاء في امتحانات

جامعة « كمبردج » وقارنت نتائج البنين بالبنات - فوجدت أن الصبيان تفوقوا في الرياضيات وفي الكيمياء والطبيعة واللغة اللاتينية وقليلاً من الجغرافيا الطبيعية - أما البنات فقد أظهرن تفوقاً في الأدب الإنجليزي والإنشاء والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية وفي رسم النماذج وتصميم الزخارف . . . وأجريت احصاءات أخرى كانت نتائجها مثل ذلك .

كما أن الاجراءات التي أجراها بيرت وترومان - أظهرت فروقاً هامة بين الجنسين في النواحي العقلية التي أعطيت لكل من الجنسين - تفوق الصبيان في الاختبارات التي تتطلب تعريف شيء ما - أو ادراك التشابه بين الأشياء أو التعليل الحسابي - وتفوقت البنات في الاختبارات التي بها مفردات لغوية أو التي تتطلب إصدار حكم على القيم الجمالية المختلفة . . فالبنون يهتمون بالأفكار أكثر من اهتمامهم بالاشخاص الذين صدرت عنهم هذه الأفكار على عكس الفتيات ، وهم أكثر تقيداً بالاستنتاج المنطقي وخطواته في أثناء تفكيرهم من البنات اللاتي كثيراً ما يهملن بعض خطوات التفكير - ويصلن بذلك إلى نتائج خاطئة من جراء التسرع . . أما الحفظ فيلوح لنا أن البنات يفقن البنين ولكن قد يفوقهن الصبيان في القدرة على تركيز الانتباه وحصره في موضوع معين .

يقول الدكتور فؤاد البهي السيد « أستاذ علم النفس » بتربية عين شمس في كتابه « الذكاء » (تواترت نتائج الأبحاث العلمية والنفسية في هذا الميدان على تأكيد زيادة النمو العقلي عند الاناث منه عند الذكور حتى المراهقة ، ثم يزداد نمو

الذكور عن الإناث خلال فترة المراهقة ، ثم تتقارب المستويات العقلية بعد ذلك عند الجنسين وبخاصة في النواحي العامة التي تدل على الذكاء ، ويختلف المدى القائم في الفروق العقلية ، تبعاً لاختلاف الجنس فيزداد عند الذكور ويقل عند الإناث ، أي أن الفروق العقلية عند الذكور أوسع وأكبر منها عند الإناث ، ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند الذكور عنها عند الإناث) .

وقد تحقق من تطبيق قياس « برونوميتير » على عينات من الجنسين أن الرجال أكثر ثباتاً من النساء وأكثر تحملاً من النساء وأكثر ثباتاً عند الصعاب واعتماداً على أنفسهم وأقل انطواء وأكثر سيطرة وأكثر ثقة في أنفسهم من النساء .

ومن أبحاث ترومان وميليزلز « أظهر الذكور اهتماماً متميزاً بالمخاطرة وبالمهن التي تتطلب مجهوداً بدنياً خارج المنزل وبالأدوات والآلات وبالعلوم والظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة ، ومن ناحية أخرى وجد أن النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التي يدخل فيها التذوق الجمالي وقد فضلن مهنا وأعمالاً تتطلب مجهوداً أقل داخل المنزل ومهناً تتصل برعاية الأطفال والصغار والضعاف ومساعدتهم . . وقد أظهر الذكور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفوقاً في الثقة بالذات والاقدام وتعبيراً عن عدم الخوف وخشونة في اللغة والعواطف ، أما النساء فقد أظهرن تميزاً في المشاركة الوجدانية والحساسية الجمالية والانفعالية والتأنق » .

في الفترات الخاصة :

للمرأة فترات خاصة تمر بها ، هي فترات الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس وهذه الفترات تجعل المرأة في حالة جسمية ونفسية خاصة .

ففي هذه الفترات ، تلاحق المرأة أمراض كثيرة ، تكون خلالها مضطربة قلقة لا تتمكن من أن تسير سيراً طبيعياً ، وقد استنتج الطبيب نواسكتشنسكي من مشاهداته الدقيقة : أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري في أيام الحيض .

تأثيرات الحيض :

مع بلوغ سن الشباب تفرز الفتاة دم الحيض الذي تتأثر به كل أعضائها ومن ذلك :ـ

١ ـ ثقل في جسمها وازدياد خروج الحرارة منه فتنخفض درجة حرارتها فيه .
٢ ـ اختلال في النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد خلاياه .
٣ ـ وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضاً بالتغير .
٤ ـ وينقص الاستقلاب الهيوليفي ، ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ، وينحط الاستقلاب الهيوليفي الغازى ويختل الهضم ، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولينية في المأكولات مع أجزاء الجسم وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة ويبلد الحس وتتكاسل الأعضاء

وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار ، وفي كل مائة امرأة لا تحيض إلّا ٢٣ ـ بلا ألم أو وجع ـ وقد بحث الباحثون أحوال ١٠٣٠ امرأة فوجدوا أن ٧٤٪ منهن كن يقاسين الوجع وغيره من صنوف الأذى أيام الحيض ويكتب الطبيب اميل نورك (إن ما يعهد في الحوائض عامة من الأعراض هو الصداع والتعب والخلج ومعناه : أن يشتكي المرء عظامه من طول تعب أو مشى ، وضعف الأعصاب وتخلف المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم والإمساك أحياناً ، والغثيان والتهوع في بعض الحالات ، وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً ، يشتد أحياناً فيشعرن له بضربات عنيفة ، وفي بعضهن تتورم الغدد الدرقية في هذه الأيام مما يسبب فيهن البحه (خشونة الصوت) وكثيراً ما يشعرن بفتور الهضم وجهد التنفس - وقد دل الفحص الطبي الذي قام به الدكتور الطبيب كريجو في عدد من النساء أن نصفهن كن يتعللن بسوء الهضم في أيام الحيض وبالإمساك في آخرها .

والأستاذ « لاينسكى » كتب في كتابه « نشأة الشخصية » عن المرأة (إن مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية فهي تكون في أثنائها تابعة لحركاتها الاضطرارية وتنقصها جدا قوة استكمال إرادتها للإقدام على عمل أو تركه) .

ويكتب « فان دي فلد » في كتابه « الزواج المثالي » فيقول عن الآلام التي تلاقيها المرأة قبل الحيض وخلالها : (أما الأعراض البدنية السائدة في المرأة قبل الحيض وخلاله فهي الشعور بالتعب والضيق الغامض المبهم ، ويظهر الصداع غالباً في من اعتدن الصداع في هذه الفترات ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد

الكبـد ويتضخم ويحـدث مغص في الكيس الصفـراوي ، ويضطـرب الهضم كما تضطـرب شهيـة الأكـل ، فأمـا ان تحس المـرأة بجـوع شديـد أو تعـاف الطعام ، وتصيب حاسـة السمـع أعـراض مشـابهة ، وأما أنسجة الجسم العامة فهي تنبسط وتتضخم وترتخي وتحتقن ويكمل وصف الحال شحوب الوجه شحوباً شديداً ، أو احمراره بسرعة من التأثر ، وظهور تجعدات أو دوائر زرقاء تحت العيون . . . ويقول الدكتور تعليقاً على ذلك : « لقد ذكرت كل هذه الأعراض بالتفصيل لأظهر أن المـرأة الحـائض تكـاد تكـون مريضـة ، بل هي مريضـة بعض المرض » ، ويقول الطبيب اميل نورك : « إن ما يعهد من الحوائض عامة من الأمراض هذا الصداع والتعب ووجع العظم وضعف الأعصاب وتخلف المزاج ، واضطراب المثانة وسوء الهضم والغثيان في بعض الحالات » .

ويقـول الطبيب جبهـارد : « قل من النسـاء من لا تعتـل بعلة في المحيض ووجـدت أكثـرهن يشتكـين الصـداع والتعّب تحت السرة ، وقلة الشهوة للطعام ، ويصبحن شرسـات الطبـاع مائـلات للبكـاء ، ونظـرًا لوجود العوارض كلها يصح القول : بأن المرأة في محيضها تكون في الحق مريضة ، وينتابها هذا المرض مرة في كل شهـر ، استنتـج الطبيب فواستشفسكي من مشـاهـداتـه الـدقيقـة : أن المـرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري في أيام واستخرج كذلك الاستاذ كرسى شكفسكي من اختباراته النفسية : أن المرأة يلتهب فيها المجموع العصبي في هذه الأيام ويبلد الحس ويختل ويضعف الاستعداد ، وربما تعطل بالمرة لقبول الانطبـاعـات البـدنيـة مما يجعلهـا تتخلج ، حتى في أعـمالها التي اعتادتها في حياتها

اليـوميـة ، فمثـل هذه المـرأة إن كانت جابيـة في الترام أخطأت في قطع التذاكر ، وارتبكت في عد الكســور ، وان كانت كاتبــة أخطأت في كتابتها الآلية وتـوانت فيهـــــا وفاتتها الأحرف على الرغم منها ، ولم توفق في تركيب الجمل ولم تصب الحرف المقصود بضربة اصبعها ، وان كانت الحائض طبيبة ، لم تنشط في عملها ولم تجد آلاتها عند الطلب إلّا بجهد جهيد منها .

محصل القول :

ان الجهاز العصبي والذهني عند المرأة ، يعود في غالبه متراخياً غير منظم هذه الأيام فلا تكون أعضاؤها تابعة لإرادتها تماماً ، بل تنبعث من داخلها حركة اضطرارية تملك عليها ارادتها وتعطل قوة حكمها واختيارها ، فتصدر منها الأفعال بدون ارادة ، ولا يعود لها في أعمالها وتصرفاتها من حرية ، ولا تكون أهلاً للقيام بتبعة أو مهمة .

ويكتب الطبيب كرافت ايبنج : إننا نجد في حياتنا اليومية أن النساء اللاتي يكن لينـات العـريكـة دمثـات الأخـلاق صنـاع الأيـدي تتغـير طباعهن بغته فور دخلوهن في أيام الحيض ، وكأن هذه الأيام تمر بهن مر العاصف الزعزع ، يصبحن فيهـا متفجـرات سليطـات اللســان شديـدات الخصام يشكو سوء خلقهن كل من الخدم والأولاد والأزواج ، حتى الأجانب أيضاً ، لا يسلمون من سوء معاملتهن .

كما يكتب الطبيب وينبرج مستندا إلى مشاهداته فيقول : (ان خمسين في المـــائـة من المنتحـرات اللواتي بحثت أحـوالهن ، كن قد ارتكبن الجـرائم في أيـام

الحيض ويرى لذلك : أن من واجب المحاكم حين ترفع اليها قضايا النسوة المراهقات أن تتثبت فيها ، لعل إحداهن قد اقترفت الجريمة وهي حائض .

الحمـــــل :

وتمر بالمرأة فترات تؤدي فيها وظيفتها في بقاء الجنس البشري وذلك في أيام الحمل وبعده وهي أيام لها تأثيرها الواضح في صحة المرأة الجسمية ، كما أن لها آثارها في صحتها النفسية .

كتب الطبيب ريبريف يقول : ربما كان خروج الفضلات من جسم المرأة في أيام حملها أقل مما يكون في حالة الفاقـــة والمسغبة ، فلا تستطيع قواها في هذا الـــزمـــان أن تتحمـل من مشقـة الجهـد البـدني والعقـلي ما تتحمله في عامـة الأحوال ، وإنّ عوارض الحمل ، إنْ عرضت لرجل أو امرأة غير حامل تحكم عليه أو عليهـا بالمـرض ، ففي هذه المـدة يبقى مجمـوعهـا العصبي مختـلاً لعدة أشهر ، ويضطـرب فيهـا الاتـزان الـذهني ، وتعود جميع عناصرها في حالة فوضى دائمة ، وهي في أثناء ذلك بين الصحة والمرض ، ويكفي أدنى الأسباب في دفعها إلى المرض .

ويقول الطبيب فشر : أنه لا يسلم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشـديـد في زمـان الحمـل فتصـاب في مزاجهـا بالتلون وفي أفكارها بالتشوش وفي عقلها بالشرود ، وتتخلف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم والتعقل ،

ومما اتفق عليه هيولاك ايلس والبرت مول من المتخصصين أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيها البتة أن تكلف المرأة جهداً بدنياً أو عقلياً .

أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة عرضة لأعراض متعددة تغزوها وتنمو فيها ، إذ تكون جراح نفاسها مستعدة أبدا للتسمم ، وتصبح أعضاؤها الجنسية في حركة لتقلصها ، حتى تعود إلى حالتها الأصلية قبل الحمل ، مما يختل به نظام جسمها كله ، ويستغرق بضعة أسابيع في عودته إلى نصابه حتى وان لم يعرض له في أثناء ذلك خطر ، وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف ما تكون عليه في عامة الأحوال أو أقل منه .

وتستمر الأبحاث العلمية سائرة في طريقها لتبين لنا وجود اختلافات جذرية بين الرجل والمرأة ، تبعاً لوظيفة كل منهما في المجتمعات الإنسانية ، وبذلك ندخل في عصر جديد ، أفكاره تختلف عن أفكار العصر الماضي في وظيفة كل من الرجل والمرأة .

دور الرجل ودور المرأة :

ويبدأ الأستاذ الدكتور الكسيس كاريل ـ الحائز على جائزة نوبل الحديث في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » موضحاً الفرق بين الرجل والمرأة ودور كل منهما في التناسل فيقول : « إن دور الرجل في التناسل قصير الأمد ، أما دور المرأة فيطول إلى تسعة أشهر ، وفي خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد كيماوية ترشح من دم

الأم من خلال أغشية الخلاص ، وبينما تمد الأم جنينها بالعناية التي تتكون منها أنسجته ، فإنها تتسلم مواد معينة تفرزها أعضاء الجنين ، وهذه المواد قد تكون نافعة وقد تكون خطرة ، فحقيقة الأمر : أن الجنين ينشأ تقريباً من الأب مثلما ينشأ من الأم ، فإن مخلوقاً من أصل غريب جزئياً ، قد اتخذ له مأوى من جسم المرأة ، فتتعرض المرأة لتأثيره خلال فترة الحمل ، وقد تتسمم المرأة في بعض الأحيان بوساطة جنينها ، كما أن أحوالها الفسيولوجية والسيكلوجية تعدل به دائماً وعلى آية حال ، فيبدو أن النساء من بين الثدييات ، هن فقط اللاتي يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين ، كما أن النساء اللاتي لم يلدن لسن متزنات اتزاناً كاملاً كالوالدات ، فضلاً عن أنهن يصبحن أكثر عصبية منهن » .

ويستمر كاريل قائلاً : « إن أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم ، لم يفهم حتى الآن إلى درجة كافية ، مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال النمو للمرأة ، ومن ثم فمن سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة ، ولذلك يجب ألا نلقن الفتاة التدريب العقلي والمادي الذي يتلقاه الرجل ، ولا أن نبث في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيات وتبث فيهن ، يجب أن يبذل المربون اهتماماً شديداً للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى ، كذا لوظائفهما الطبيعية ، فهناك اختلافات لا تنقضى بين الجنسين ، ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساباً لهذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدين » .

ثم يصرخ قائلاً : « أو ليس من العجيب أن برامج البنات لا تشتمل بصفة

عامـة على أيـة دراسـة مستفيضـة للصغـار والأطفـال وصفـاتهم الفسيـولـوجيـة والعقليـة ؟ ، يجب أن تعـاد للمـرأة وظيفتهـا الطبيعيـة التي لا تشتمل على الحمل فقط بل - أيضاً - على رعاية صغارها » .

المرأة مخلوق بيولوجي :

والـدكتـور محمـود أبـو زيـد مدرس علم الاجتـماع بكليـة البنات الإسلامية والخبـير بمـركـز دراسـات المـرأة والبيئـة بالقـاهـرة يقـول في صحيفـة الأهرام عدد ١٩٨٠/٩/٨ م : « إن المـرأة مخلوق بيـولـوجي بالدرجة الأولى ، وبالتالي تقتصر مشاركتها في الأعمال الإنتاجية على أعمال محدودة وبسيطة من هنا ينبغي أن نقسم العمل على أسس ومفاهيم جديدة بعيدة عن تلك التي بالغ الرجال في ادعائها وحاولوا تثبيتها في الآذان على مر العصور » .

اختلاف في هيكل المرأة وهيكل الرجل :

والـدكتـور محمـد علي البـاز ، يتنـاول مجمـوعة من الاختلافات المتنوعة بين هيكل الرجل وهيكل المرأة ، وقد نشرت في مجلة المجتمع الكويتية عدد **٢٥** من جمادي الأولى **١٣٩٩** هـ فيقول :

الاختلاف على مستوى الخلايا :

إن هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل ، بل إن كل خلية من

خلايـا جسم المـرأة تختلف في خصـائصهـا وتركيبها عن خلايا الرجل ، وإذا دققنا النظـر في المجهـر هالنـا أن نجـد الفـروق واضحـة بين خلية الرجل وخلية المرأة ، ستون مليون مليون خلية في جسم الإنسان ، ومع هذا فإن نظرة فاحصة في المجهر تنبئك بالخبر اليقين ، هذه خلية رجل وهذه خلية امرأة ، كل خلية فيها موسومة بموسم الذكورة أو مطبوعة بطابع الأنوثة .

على مستـوى الجسيـمات المكـونـة (الصبغيـات أو الكـرومسـومـات) هذه الجسيمات الملونة موجودة في كل خلية وتقاس بالانجستر وم « واحدة على المليون من المللميتر » في ثخانتها ، وهي موجودة على هيئة أزواج ، منها زوج مسؤ ول عن الذكورة والأنوثة :

ففي خلية الذكر نجد هذه الزوج على هيئة × .

وفي خلية الأنثى نجد هذا الزوج على هيئة ×× .

الجسم الملون « صبغ » للذكورة يختلف في شكله المميز عن صبغ الأنوثة ، ولا يقتصـــــر الاختــلاف على الشكــل والمظهــر انــما يتعــداه إلى الحقيقــة والخـــبر ، فصبغ الذكورة قصير سميك بالنسبة لصبغ الأنوثة ، ومع ذلك فهو يجعل الخلية الذكرية أكثر نشاطاً وأقوى شكيمة وأكثر اقداماً من شقيقتها الأنثوية » .

الاختلاف على مستوى النطفة :

تفـرز الخصيـة مئـات المـلايين من الحيوانات المنوية في كل قذفة منى ، بينما يفرز المبيض بويضة واحدة في الشهر .

ونظـرة واحـدة فاحصـة لخصـائص الحيـوان المنوي يقاس بالميكرون « واحد على المليون من الميـتر » تجعلنـا نوقن بأنـه يجسـد خصـائص الـرجولة ، بينما نرى البويضة تجسد خصائص الأنوثة ، فالحيوان المنوي له رأس مدبب وعليه قلنسوة مصفحة وله ذيل طويل وهو سريع الحركة قوي الشكيمة لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفه أو يموت ، بينما البويضة كبيرة الحجم ميلليمتر وتعتبر أكبر خلية في جسم الإنسـان الـذي يحتـوى على ستـين مليـون خلية ، وهي هادئة ساكنة تسير بدلال وعليها تاج مشع يدعو الراغبين إليها وهي في مكانها لا تبرحه ولا تفارقه ، فإن أتاها زوجها عاشت وإلا ماتت في مكانها ، ثم قذفها الرحم مع دم الطمث .

وإذا دققنا النظر في قطرة صغيرة من مني الرجل تحت المجهر هالنا ما نرى : مئات الملايين من الحيوانات المنوية تمخر عباب بحر المني المتلاطم ، وهي تضرب بأذيـالهـا لتجـري في طريقهـا الشاق الطويل الوعر المحفوف بالمفاوز والمخاطر حتى تصـل إلى البـويضـة ، وفي أثنـاء هذه الـرحلة الشاقة تموت ملايين من الحيوانات المنوية ولا يصل إلى البويضة إلّا عشرات الألوف .

وهناك على ذلك الجدار تقف هذه الحيوانات تنتظر أن يؤذن لها بالدخول وتتحرك يد القدرة الالهية المبدعة ، فتبرز كوة في جدار البويضة أمام حيوان منوي قد اختارته الإرادة الالهية ليلقح تلك الدرة المكنونة ويلج الحيوان المنوي سريعاً إلى هذه الكوة والفرجة ليقف وجها لوجه أمام البويضة ، وهناك يفضى اليها بمكنون سره ويعطيها أسرار الوراثة وتعطيه . . ويتحدان ليكونا النطفة والأمشاج التي يخلق منها الله سبحانه وتعالى الإنسان كاملاً .

الاختلاف على مستوى الأنسجة والأعضاء :

تظهر هنا الفروق الواضحة الهائلة ، عضلات الفتى مشدودة قوية وهو عريض المنكبين واسع الصدر ضيق البطن صغير الحوض نسبياً لا أرداف له ولا عجز ، يتوزع الدهن في جسمه توزيعاً عادلاً وطبقة الدهن في الغالب الأعم محدودة بسيطة وينمو شعر العانة متجهاً إلى السرة ، كما ينمو شعر عذاريه وينمو شعر ذقنه وشاربه ويغلظ صوته ويصبح أجشا .

بينما نجد عضلات الفتاة رقيقة ومكورة بطبقة دهنية تكسب الجسم استدارة وامتلاء مرغوباً فيه ، خاليا من الحفر والنتوءات الواضحة المتعاقبة التي ترتاح العين لرؤيتها ، كما يقول أستاذ علم التشريح الدكتور شفيق عبدالملك في كتابه « مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء » ويواصل الدكتور شفيق كلامه قائلاً : « ولا تقتصر هذه الطبقة الدهنية على استدارة الجسم وستر ما يعتوره من حفر أو نتوءات ، بل إن بعض المناطق الخاصة تحظى بنصيب وافر منها مثل : الثديين اللذين يكبران ويستديران ، ويتخذ كل منهما شكل نصف دائرة وكذلك منطقة الزهرة والإليتان ، كما يستدير الفخذان وغيرهما من مواضع خاصة ، ويتسع الحوض متخذاً شكلاً مناسباً يتفق مع العمل الذي خصص له ويكتمل نمو أعضاء التناسل الباطنة كالرحم والمبيض الذي يقوم بعملية الأبياض السابقة للطمث ، وكذلك الأعضاء التناسلية الظاهرية كالمشفرين الكبيرين ، ويتخذ كل منهما شكله وحجمه وقوامه وبنيانه وموضعه في البالغ ويظهر الشعر في منطقة الزهرة والابطين وينعم الصوت بعد أن كان مصبوغاً بصبغة الطفولة .

وغـرض كل هذه التغـيرات في الفتـاة : اكتســاب جمال المنظر ورشاقة القوام ونضارة الطلعة مما يتفق مع حسن ونعومة ونضارة الأنوثة ، وكلها عوامل قوية للإغراء .

الأعضاء التناسلية :

وتختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة ، فللمرأة رحم منوط به الحمل ، فإن لم يكن حمل فدورة شهـــريـــة وطمث « حيض » حتى تحمـل أو تتـوقف الحيـاة الجنسية للمرأة ، وللمرأة أثداء لها وظيفة جمالية ، كما لها وظيفة تغذية الطفل منذ ولادته إلى فطامه بأحسن وأنظف وأليق غذاء ، وتركيب العظام يختلف في الرجل عن المـرأة في القـوة والمتـانـة في الضيق والسعـة في الشكل والزاوية ، يقول الدكتور شفيق أستاذ علم التشريح (يمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفـة هامـة إضـافيـة تتطلب منـه بعض الضروريات اللازمة التي لا يحتاج إليها حوض الـرجـل ، فنمـو الجنـين في الحـوض وطـرق تغـذيتـه وحفظـه ، ثم مروره بتجـويف الحـوض ومن خلال مخرجـه وقت الـولادة ، مما يستلزم بعض التغـيرات والتعديل التي يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للطفل والأم ، وتنحصر كل هذه التغيرات في أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر وأن تكون عظامه أرق خشونة وأبسط تضاريسا .

ويستمـر الـدكتـور شفيق قائـلاً : يوجـد تسعة عشر فرقاً بين حوض الرجل وحـوض المـرأة ، ويختم ذلـك بقـولـه . . وأن تكـون دقة العظام ونعومتها وبساطة

تضاريسها وصغر شوكاتها وقلة حفر غورها ظاهرة جلية في أكثر عظام الهيكل في المرأة ، غير أنها تتجلى بأوضح شكل في عظام الحوض للأنثى التي تشارك ضعاف عظام الهيكل الأخرى بقسط وافر في صفاتها المميزة للأنوثة زيادة على تكليفها النوعي الخاص بها يناسب ما يتطلب منها القيام بعمل ينفرد به دون غيرها من عظام الهيكل » .

والحكمة في الاختلاف المبين بين التركيب التشريحي والوظيفي « الفسيولوجي » بين الرجل والمرأة ، هو أن هيكل الرجل قد بني ليخرج إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح ، وتبقى المرأة في البيت تؤدي وظيفتها التي أناطها الله تعالى بها .

والفرق نراه واضحاً في الرجل البالغ وفي المرأة البالغة ، كما نراه في الحيوان المنوي والبويضة ساكنة هادئة ، لا تتحرك إلا بمقدار ، وعليها التاج المشع ، الحيوان المنوي صاروخ مصفح وقذيفة تنطلق عبر المخاطر والمفاوز لتفوز بغرضها وغايتها أو تموت .

والفروق نراها في الدم والعظام ، في الجهاز التناسلي ، في الجهاز العصبي ، في اختلاف هرمونات الذكور وهرمونات الأنوثة ، في الاختلاف النفسي بين إقدام الرجل وصلابته وخفر المرأة ودلالها .

إذا لم نفعل ذلك ، فإننا نصادم الفطرة ونتجاهل التكوين النفسي والجسدي للمرأة ، ويكون ذلك وبالا على المجتمع وعلى المرأة وسنة ماضية ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

مخ المرأة يختلف عن مخ الرجل :

وقد أثبت العالم روجرز سبيري الذي حصل على جائزة نوبل للطب لعام ٨١ م عن أبحاثه التي أثبتت أن المخ له جنس ، مما يعني أن هناك مخا مذكراً ومخاً مؤنثـــاً ، وان ذلك يؤثر بالتالي على سلوك الإنسان وطريقة تفكيره .

وأكدت الأبحاث : أن مخ المرأة يختلف عن مخ الرجل ، وهذا الاختلاف لا يتعلق بالحجم والصفة التشريحية ، بل هو يؤدي إلى أن كلا من المرأة والرجل ينظر إلى الحياة ويشعر بها ويتعامل معها ويحللها بشكل مختلف تماماً عن الآخر .

كما أوضحت الأبحاث : أن السبب في هذا الاختلاف لا يرجع إلى التربية أو تأثير البيئة المحيطة ، وانما يرجع إلى تأثير الهرمونات الجنسية ، ذلك أنها لا تشكل فقط الأعضاء التناسلية للإنسان ، بل هي تكسب المخ صفة التذكير والتأنيث ، ففي البداية يكون المخ مؤنثاً ، مثله في ذلك مثل باقي أجهزة الجسم ولكن في الأيام الأولى من الأيام الجنينية ، وبعد أن تحدد الكروموسومات جنس الجنين (س .س)للأنثى ، (س .ص) للذكر تقوم الهرمونات بدفع المخ بشكل نهائي ويقوم هرمون الذكورة النستوسترون ، بهذه المهمة حيث أنه أصل نمو الجنين كذكر ، ويكفي نقص هذا الهرمون لكي ينمو الجنين كأنثى ، فإذا حدث أن تعرض جنين يحمل كروموسومات جنسية أنثوية لتأثير هرمون الذكورة ، فإنه قد تنشأ الفتاة بأعضاء تناسلية مذكرة ، ونفس الشيء يحدث ان تعرض جنين يحمل كروموسومات جنسية مذكرة لنقص في هرمون الذكورة ، فإنه قد يولد بأعضاء تناسلية أنثوية ، ولكن تكون لديه خصية بدلاً من المبايض .

وقد أجريت دراسات حديثة على بعض السيدات ، حيث حقن بهرمونات مذكرة في أثناء الحمل ، وقد بينت نتائج هذه الأبحاث ، أن هؤلاء السيدات قد ولدن أطفالاً تميزوا بالعنف عن إخوتهم وأخواتهم ذلك أن أخذ كميات كبيرة من هذا الهرمـون يزيد من احتمالات السلوك العدواني ، بيد أن الهرمونات لا تؤثر فقط على السلوك ولكنها تلعب دوراً في نمو المخ ، وهذا ما أكدته أبحاث الدكتور روجر سبيري صحيفة الراية القطرية في : ١٩٨١/١١/١١ م .

الفصل الثاني

الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية

أضرار الرضاعة الصناعية للطفل :

الأطفال هم الثروة البشرية التي لا تقدر بمال ، ومن هنا كان حرص الأمم بمختلف أنواعها على تربية الأطفال تربية متكاملة من جميع النواحي حتى يشب الأطفال أصحاء الجسم أصحاء العقل أصحاء النفس فيؤدوا رسالتهم في رقي الأمم والوصول بها إلى ما تبتغيه من العلم والتقدم ، ومع خروج المرأة للعمل ، ومع اتجاه الأمهات إلى الرضاعة الصناعية محافظة على الصحة والرشاقة ـ كثر استخدام الألبان الصناعية لرضاعة الأطفال .

وبدأ الناس يحسون بظواهر جديدة تحدث للأطفال ، وقد درس العلم الحديث الألبان الصناعية وتأثيراتها المتنوعة على الأطفال في مختلف أعمارهم ، وكانت نتائج هذه الدراسات مذهلة للجميع ، حتى للعلماء الذين قاموا بإجرائها .

مؤتمر موناكـــو :

انعقـد المـؤتمـر الثـالث للطفـل في مونـاكـو ربيع ١٩٧٨ م واسم هذا المؤتمر « موناكو ٣ » وقـد جاء هذا المـؤتمـر ضمن سلسلة مؤتمـرات تعقـد من أجل صحة الطفـل والأم منـذ عام ١٩٦٩ في إمـارة موناكو وقد اشترك في المؤتمر أكثر من ٣٠٠ طبيب من المتخصصين في الطفولة في جميع احتياجاتها وأشرف على المؤتمر شركتان عالميتان لإنتاج غذاء الطفل .

لبن الأم أفضل غذاء للطفل :

وقد أكدت المؤتمرات السابقة أهمية لبن الأم في الأيام الأولى لحياة الطفل وهو الوسيلة الوحيدة لوقايته في أيامه الأولى وفي حياته المستقبلية من العديد من الفيروسات والأمراض مثل السل وأمراض الأمعاء ولين العظام .

لبن المسمار :

يطلق لبن المســمار على الكميــة المختــزنــة من لبن الأم في الأيـام الأولى للرضـاعـة ، حيث يضم كميـة كبـيرة من الأجسـام المضـادة ، بالمقارنة للأجسام المضادة الموجودة في ثدى الأم بعد الأيام الخمسة الأولى ، وهو غني بالبروتين ولونه أصفر .

والأطباء يصرون على تناول الطفل للبن المسمار ، لما له من الفوائد المختلفة

للطفل ، وقد أجرى الدكتور يحيى الجمل أستاذ الأطفال المساعد بعين شمس ، بالاشتراك مع هيئة الأمصال واللقاحات ، الأبحاث المختلفة لمدة تسع سنوات وثبت : أن وجود كمية الأجسام المضادة في لبن المسمار هي المسؤولة عن حماية الأغشية المخاطية المبطنة للجهاز الهضمي والتنفسي للطفل ، وتزيد عدة مرات في لبن المسمار عنه في لبن الأم الذي يفرز بعد ذلك ، وانتهى البحث إلى النصيحة التي يعمل بها أطباء أمريكا الآن ، وهي ضرورة رضاعة الطفل من ثدي أمه على الأقل في الخمسة أيام الأولى ، حتى ولو تمت تغذيته بالألبان الصناعية بعد ذلك « صحيفة الأهرام القاهرية » عدد ١٩٧٩/٩/١٩ م .

توصيات مؤتمر موناكو :

وقد أعلن مؤتمر موناكو ٣ في نهاية جلساته خمس وصايا إلى كل أم وهي :

١ ـ اللبن الطبيعي هو الطعام الأساسي لكل طفل ، فهو علاوة على أنه وسيلة لتوطيد أواصر الأسرة من جديد في المجتمع ، فهو يقوم بتدعيم الرابطة بين الأم والابن ، وهو الوسيلة الوحيدة لوقاية الطفل العديد من الأمراض من سن الطفولة إلى الشباب ، كما أنه يحمي الطفل من الحساسية .

٢ ـ التبكير في إعطاء لبن الأم للطفل حتى يحصل على مادة الكولسترول التي تسبق اللبن الطبيعي والمفيدة لجسم الطفل وعملية امتصاص الطفل ، فهذه المادة تؤدي إلى التبكير والإسراع في نزول اللبن من ثدي الأم .

٣ ـ من الأخطاء الشائعة إرضاع الطفل عند أقل صراخ ، وسيلة لإسكاته ، مما يسبب له أمراض سوء الهضم .

٤ ـ تحذير إلى كل أم أن تبتعد عن التدخين وألا تتناول الأدوية بدون استشارة الطبيب ، لأن ذلك قد يؤدي الى تجمد اللبن في الغدد .

٥ ـ اللبن الطبيعي غذاء كامل للطفل ، ويجب عدم استخدام الطعام الخارجي إلّا بعد خمسة أو ستة أشهر ، بشكل تدريجي وبكميات قليلة جداً .

وقد أجمع أطباء المؤتمر على ضرورة إرضاع الطفل من ثدى أمه فور ولادته ، والبعد عن إعطائه السكر المذاب في الماء في مدة الأربعة والعشرين ساعة الأولى من ولادته للأسباب الآتية :

أولاً :

أنها تحرم الطفل من مادة الكولوسترول التي توجد في لبن الأم عقب الولادة ، وهي تعطى المناعة ضد العديد من الأمراض التي تصيب الجهاز التنفسي والأمعاء .

ثانيا :

أنه من الأفضل أن يعتاد الطفل على الرضاعة من ثدي أمه مبكراً .

ثالثا :

أنه من الخطأ أن يدخل جسم الطفل طعام غريب مثل السكر عقب ولادته .

الأستاذ الدكتور حسين بهاء الدين ، أستاذ طب الأطفال بكلية طب القصر العيني بالقاهرة ، قاد فريقاً مكوناً من خمسة أطباء في مجال التحاليل الطبية والكيمياء وطب الأطفال وذلك للبحث في الرضاعة الطبيعية ومدى أهميتها للأطفال ، وقد استمرت هذه الأبحاث أكثر من عامين ، وقد كان الهدف من الوصول إلى الأسباب التي تجعل الأطباء يصرون على العودة إلى الرضاعة الطبيعية ، فقد أثبتت هذه الأبحاث : أن لبن الأم يتفوق تفوقاً حاسماً من ناحية تركيبه الفريد واحتوائه على المواد الأساسية للحياة والتغذية والنمو ، من بروتينات ونشويات ودهنيات وفيتامينات وأملاح ومعادن ، فهو يحتوي على كل هذه المكونات في أروع نسبة وأفضل تركيب للاستفادة الكاملة منه طوال مراحل النمو للطفل .

فالبروتين - وهو المكون الأساسي للخلية - اكتشف العلماء أن نسبة الاستفادة منه في لبن الأم أعلى بكثير منه في لبن الحيوان أو اللبن الصناعي ، فالطفل يحتاج إلى ٤ جرامات بروتين لكل كيلوجرام من وزنه في اللبن الصناعي ، على حين يحتاج الى ١٫٥ جراما فقط من بروتين لبن الأم ، كما اكتشف العلماء أن لبن الأم يحتوي على ١٨ نوعاً من البروتينات .

ويقول الدكتور حسين : « إن الأبحاث كشفت أن لبن الأم يحتوي على خلايا تستطيع تكوين أجسام مضادة للميكروبات والفيروسات والبكتريا ، وقد حدد البحث المصري الذي أجرى على ٦٠ طفلاً مصرياً تتراوح أعمارهم بين

ثلاثة شهور وأحد عشر شهرا : أن خلايا لبن الأم تفرز أربعة أنواع من الأجسام المضادة الرئيسية ، وأثبتت التحاليل بالأرقام أن كمية الأجسام المضادة في لبن الأم تتفوق بوضوح عنها في الرضاعة الصناعية :

- فالأجسام المضادة رقم / ١ - في طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٣٠ ٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .
- والأجسام المضادة رقم / ٢ - في طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٤٥ ٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .
- والأجسام المضادة رقم / ٣ - في طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٧٠ ٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .

والجديد في هذه الأبحاث :

أن الأطباء كانوا يعتقدون أن تأثير الأجسام المضادة ، يتركز فقط في القناة الهضمية حيث كانوا يلاحظون انخفاض النزلات المعوية في أطفال الرضاعة الطبيعية عنه في أطفال الرضاعة الصناعية ، ولكن أبحاث الدكتور حسين ورفاقه كشفت عن أن الأجسام المضادة يمكن تأثيرها أيضاً في الدم .

النمو العصبي والعقلي للطفل :

الجزء الثاني الذي ركز عليه البحث هو النمو العصبي والعقلي للطفل فقد ثبت علمياً : أن مخ الطفل وجهازه العصبي ، يبدأ في النمو وهو في بطن أمه ،

ويستمر هذا النمو إلى أن يصل إلى ٧٥ ٪ عند نهاية العامين ، أي أن الطفل والتأثير الذي يتعرض له خلال العامين في جهازه العصبي ومخه يمتد تأثيره إلى نهاية عمره ، وأهم ما يحتاجه مخ الطفل وجهازه العصبي في نموه كما يقول الدكتور حسين هو من الدهنيات الفسفورية وأهمها مادتان على وجه التحديد ، وتدخلان في تركيب الجهاز العصبي والمخي للإنسان ، وتلعبان دوراً أساسياً في اكتمال نموهما .

وقد أثبت البحث أن أطفال الرضاعة الطبيعية عندهم زيادة واضحة في هاتين المادتين وبنسبة تصل إلى ١٦٥ للمادة الأولى ، ١٣٥٪ للمادة الثانية . كما ثبت أن الكولوسترول أقل بنسبة ١٠ ٪ ، ومعنى هذا الرقم أن أطفال الرضاعة الطبيعية أقل تعرضاً لتصلب الشرايين والبدانة وأقل تعرضاً للذبحة بالأمراض التي تصاحب السمنة عند الكبار « صحيفة الأهرام القاهرية في ٢٦/١١/١٩٧٩ م » .

وقد أعلن الدكتور فردريك روبين الذي نال جائزة نوبل عام ١٩٧٦ م في أبحاثه « أن الطفل الذي يرضع من ثدي أمه أقل كثيراً ممن يرضعون صناعياً في تعرضه لأمراض تصلب الشرايين حين يصير رجلاً » .
وقد أوصى المؤتمر الأول لمكافحة سوء التغذية الذي انعقد في جامعة الدول العربية بتشجيع الرضاعة الطبيعية للأطفال لاحتوائها على المواد الزلالية والفيتامينات التي تقي الطفل من أمراض سوء التغذية والأمعاء « الأهرام القاهرية في ١٩٧٩١١/٢٦ م » .

كل العناصر في لبن الأم :

جاء في صحيفة الأهرام بعددها الصادر في ١٦/٨/١٩٨١ م ما يلي :

« يقول الدكتور جوزيف وارسو أستاذ طب الأطفال في كلية طب جامعة بال :

« إن لبن الأم يحتوي على كل العناصر والمواد التي يحتاجها الطفل في الشهور الستة الأولى من عمره ، مما يغنيه عن تناول أي فيتامينات أو معادن أو عصائر في هذه الفترة ، كما يحتوي لبن الأم على كثير من المواد الغذائية ومنها الكولوسترول ، وهو السائل الأصفر الذي يسبق لبن نزول لبن الأم في الأيام الأولى بعد الوضع ، والذي يحتوي على مواد أمينية تحمي الطفل من الإصابة بالعدوى والتلوث ، كما أن لبن الأم يكون دائماً نظيفاً ، لذلك نلاحظ أن الأطفال الذين يرضعون طبيعياً ، لا يتعرضون للإسهال بالنسبة التي يصاب بها الأطفال الذين يرضعون صناعياً » .

وأظهرت الأبحاث العلمية :

أن الأطفال الذين يرضعون طبيعياً لا يظهرون أية حساسية تجاه لبن الأم كما أنهم لا يتعرضون للإصابة إلّا بثلث الأمراض التي يتعرض لها الأطفال الذين يرضعون صناعياً في السنة الأولى من العمر ، وتؤكد هذه النتائج النظرية التي يؤمن بها كثير من الخبراء التي تقول : إن الطفل الذي يرضع طبيعياً ولو لفترة صغيرة يتحصن من الإصابة بالأمراض المعدية فيما بعد .

ويواصل المتخصصون دراساتهم وأبحاثهم ، لمعرفة الفوائد الطبية المتوافرة في لبن الأم ، فالمعتقد أن لبن الأم ترتفع فيه نسبة الكولوسترول ، فإذا تعود الطفل هذه المادة تنخفض نسبة إصابته لتصلب الشرايين وبقية الأمراض المرتبطة بالكولوسترول فيما بعد .

ونتيجة لكل هذه الأبحاث ، فإن الخبراء والمتخصصين في لبن الأم يرون أن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل ولا يمكن إبداله بأي لبن صناعي أو أي غذاء آخر .

وقد يختلف لبن امرأة عن أخرى أو حتى عن نوعيته عند نفس الأم من أسبوع لآخر ، ولكن هذا لا يؤثر في شيء على الفائدة التي يحصل عليها الطفل .

ويذكر دكتور شورت ماسون « في كتابه الصحة » الهرمونات فيقول : « ثدي الحامل يهيء عملية حشد جيوش كاملة من الهرمونات لتكون على أهبة الاستعداد لهذا الضيف القادم ، وهذه الهرمونات تجعل اللبن ينساب بين شفتي الطفل الرضيع دون تعب أو مشقة » .

ويقول ماسون : « إن إدرار اللبن محكوم بفعل لا إرادى أو استجابة خاصة ، وإن هذا الفعل لا يظهر إلا إذا لامست شفتا الطفل حلمةَ المرضعةِ ، ففي هذه الحلمة تنتشر آلاف من الحركات العصبية المكلفة بنقل نبضات خاصة إلى المخ ، ينقلها عند ما تضغط الشفاه على الحلمة ، ثم تتوجه النبضات إلى لوحة عصبية في قاع المخ وهذه اللوحة تستجيب بدورها للنداء ، فترسل معلوماتها

إلى الغدة النخامية ، ومن الغذاء تخرج رسالة هرمونية ، وهذه تنتشر في الدم وتؤثر على الثدي وكأنها هي تحية ليكون كريما مع الطفل » .

مؤتمر جامعة الدول العربية :

في سنة ١٩٧٦ م ، عقد في مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة المؤتمر الدولي الأول للوسائل العلمية لمقاومة سوء التغذية ، وقد اشترك فيه أكثر من مائتي طبيب ، يمثلون ٣٢ دولة ، منها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وإيطاليا ، علاوة على علماء يمثلون الهيئات العالمية المختلفة الخاصة بالصحة والتنمية الدولية وبرنامج الغذاء العالمي ، وقد استمر المؤتمر خمسة أيام ، أصدر بعدها توصياته والتي على رأسها تشجيع الرضاعة الطبيعية كعلاج للإسهالات والنزلات المعوية في الأطفال ، حيث ثبت أن نسبة حدوث هذه الأمراض بين أطفال الرضاعة الصناعية تبلغ عشرة أمثال نسبتها بين الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم .

وطالب المؤتمر بنشر وسائل تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وبخاصة بين الأمهات في الطبقات غير القادرة التي امتصتها المصانع والأعمال اليدوية ، ولجأت إلى الرضاعة الصناعية ، وقد أصدر المؤتمر توصيته باعتبار أن أول خطوة نحو علاج سوء التغذية في الإنسان ، وبالتالي أول محاولة للوقاية من سوء التغذية تبدأ منذ ولادة الطفل وبداية من رضاعته ، محددا المدة المثلى للرضاعة الطبيعية بسنتين كاملتين .

يقـول الـدكتـور فشـر : « إن مدة الرضاعة لا تحيا فيها المرأة لنفسها ، فهي تحول خلاصـة جسمهـا إلى لبن سائـغ للوليـد ومن الغـذاء الذي تأكله لا ينال جسمها الا البلغة ، وأما سائره فيصرف في إنزال اللبن في صدرها ، وبعد الرضاع يكون على المرأة أن تصرف عنايتها كلها في احتضان الولد وتعهده وتربيته حقبة من الزمن ولا عوض في الدنيا عن لبن الأم » .

وليست هذه هي المـرة الأولى التي يبحث العلم فيهـا صحـة الطفـل وسـلامتـه ووقايته ، ويصدر قرارات بوجوب إرضاع الأم لطفلها ، فلقد ظل الاعتقاد سائداً إلى فترة : « إن الغذاء الطبيعي للرضيع هو لبن الأم أو أي لبن طبيعي أو صناعي يقـارب درجـة تركيبـه ومكـونـاته لبن الأم ، ويستحسن أن يكون لبن امرأة أخرى صحيحة البنية ، يكون ابنها في سن الرضيع الذي ترضعه ، وذلك في حالة عدم إرضـاع الأم لطفلهـا ، حتى اتسعت آفـاق البحث وتعـددت وسـائـل الـدراسة واستخدمت طرق المتابعة على أعداد كبيرة من الأطفال ، وضعوا موضع التجربة العلمية والمعملية ووجد أن لبن الأم به مواد زلالية تناسب وتشابه زلاليات الطفل وكذلك أنواع البروتينـات وأنه لا يمكن أن يماثل تكوين لبن أم أخرى بالنسبة لتكوين أنسجة الطفل ، لا في نوعيته ولا في درجة تأثيره .

مؤتمر الصيدلة الدولي :

في مؤتمر الصيدلة الدولي الذي أقيم بباريس عام **١٩٧٢** م أعلن عن أهمية حليب الأم في رضـاعـة الطفـل ، بهالا بديـل له لصحـة الـرضيع ، ومدى الفارق

البعيد بينه وبين حليب البقر ، وأشار الدكتور هنري لستيراد إلى أن لبن الأم قد زود بعشرات من المعطيات الصحية التي لا يمكن أن توجد في حليب البقر ، منها زيادة كولسترول وكريات وما تحتويه من نسبة عالية من السكريات والحوامض البروتينية ، مما لا يوجد في حليب البقر ، وان الأم التي تغذي طفلها بحليب البقر ، إنما تعرض عليه زيادة في المواد البروتينية تفوق حاجته ثلاث مرات ، بينما تنقص حاجته من السكريات والأحماض التي يحتاج إليها عجل البقرة ، ونتيجة لذلك فإن كلا من الكبد والكليتين لدى الرضيع المغذى بحليب البقر تصاب بالتضخم من جراء المجهود اللازم لتحويل المواد البروتينية ولو ان نقص المواد السكرية والحوامض الدسمة في لبن البقر الذي يقدم للطفل من شأنه أن يوجد نقصاً جوهرياً في خلايا الدماغ البشري ، ومما يضاعف الخطر أن خلايا الدماغ تتكون مرة واحدة في السنين الأولى من العمر ولا تتجدد . . . وأضاف الدكتور لستيراد حقائق جديدة لم تكن معروفة الى وقت قريب ، وهي أن حليب الأم لا يشتمل على عناصر غذائية فقط ، بل يشتمل أيضاً على عناصر وقائية من الأمراض الجرثومية تشبه اللقاحات ومعنى هذا أن خالق الطفل لا الطبيعة ، كما يقول - الطبيب - قد مكن الطفل الرضيع في الأشهر الأولى من عمره من مقاومة بعض الأمراض الجرثومية .

والدكتورة باميلا ديمتر ، الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن ، قد انتهت من دراسة كل أنواع الألبان ، ثم أعلنت تحذيراً للأمهات من إرضاع أطفالهن من لبن الأبقار وما في مستواه وقالت : إن هذه الألبان تحتوي على نسبة

عاليـــة من الـــدسم الـذي يصلح لعجـول المـاشيـة ، بينـما ضرره يلحق بالطفـل الرضيع ، لأنه يؤدي إلى الإفراط في السمنة ، ويفتح الطريق في جسم الطفل إلى أمـراض القلب ، وإن الـرضيـع الـذي يعتمـد على اللبن الصنـاعي أكثـر تعرضاً للإصابة باكزيما الجلد أو الربو وأمراض التنفس الأخرى ، والأهم من ذلك : أنه يشب أنانيا جافاً غليظ القلب قاسيا قليل العواطف يفتقر إلى الارتباط الوجداني على نطاق واسع .

لذلك نجد أن الدكتور الكسيس كاريل : الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة يقول : « إنه يهيب بالأمهات أن يؤدين ما خلقن له ، فإن لبن الأم جو طبيعي للطفـل ، وقـد ثبت بالفحص الطبي أن عدد الـوفيـات في الأطفـال الذين يرضعـون بطـرق صنـاعيـة عشـرة أضعـاف عدد الـوفيات الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم ويقول أيضاً : ان الرضاعة الطبيعية علاوة على انها تقلل عدد من يموت من الأطفال ، فإنها تجعل الطفل أقل عرضة للمرض ، كما أنها تمنحه قدرةً على الصـــبر ، وتضفي عليــه سكينـــة في النفس ، بينـما تسبب الـرضـاعـة الصنـاعيـة ـ علاوة على أمـراض الجهـاز الهضمي ـ بروز الفـك ، وتشوه الأنف وتفلطح قبوة الفم ، مما يؤثر على نبت الأسنان ويعرض الرضيع لتلوث اللوزتين والبلعوم والأذنين والجيوب الأنفية .

ضرورة فطرية :

وقد ثبت عن طريق التحليل والفحص أن تركيب لبن الأم يجاري حاجيات

أنسجة الطفل الآخذة في النمو ، ولذلك نجد أن تركيب لبن الأم ونوعه ودرجة تركيزه ونسبة مكوناته تتغير يوميا ، ولا يمكن أن يتم ذلك التغيير بالنسبة للبن البقر او اللبن الصناعى أو لبن أم أخرى ، حيث تختلف المكونات ، ولذلك يقول العلماء : « إن لبن الأم على وجه القطع أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أى لبن صناعى ، مهما كانت درجة دقة صناعته وتغيره ، كما ثبت أن لبن الأم يوفق توفيقا رائعا بين خواص اللبن من ناحية التكوين ودرجة الحرارة وطبيعة حاجات الطفل بل قيل : « إن لبن الأم إذا أفرغ من الثدي وأعطى في زجاجة ، صار أقل فائدة منه إذا رضعه الطفل من أمه مباشرة » ، كما ثبت أن الأم عندما ترضع طفلها لا طفل غيرها ، فإن الحنان يتدفق منها إليه ، والحب الذى تغمره به ، إنما ينعكس على حالته ، فتولد فيه كل عواطف الحب والحنان والشفقة .

عناصر في لبن الأم تقي الطفل الأمراض الفتاكة :

وقد نشرت مجلة العلم القاهرية عدد مايو ١٩٧٦ م مقالاً تناولت فيه الرضاعة الطبيعية وقد جاء فيه : « أعلن الباحثون في تكساس وجوتنبرغ والسويد اكتشافهم لثلاثة عناصر هامة في لبن الأم ، تحمي وليدها وتعطيه المناعة ضد الأمراض المعدية الفتاكة وهي :

١ - الليمفونيس .
٢ - الأجسام المضادة .
٣ - اللاكتوفرين .

وهذه العناصر لا توجد إلّا في لبن الأم .

وأثبتت الأبحاث العلمية : أن الله تعالى يعطي في لبن الأم ما يناسب وليدها حسب احتياجات جسده ونموه ولذلك بدأ الاتجاه نحو الرضاعة الطبيعية يعود ، ويتحمس لهذا أطباء أمريكا وهيئة اليونيسيف « رعاية الطفولة والأمومة » والهيئة الصحية العالمية والاسباب هي :

١ - لبن الأم أنسب الألبان تركيباً لصحة الطفل ، ولا يمكن إيجاد لبن مماثل تماماً .

٢ - الأمهات في الدول النامية والفقيرة ، يقدمن لأطفالهن أطعمة فقيرة في القيمة الغذائية .

٣ - لبن الأم نقي جاهز التعقيم .

٤ - لبن الأم أقل في التكلفة ويعتبر هدية مجانية للوليد من خالقه .

٥ - الحنان وفيض الأمومة الذي ينساب للرضيع عبر لبن الأم عنصر أساسي .

٦ - لبن الأم يقدم لوليدها السلاح الذي يدافع به عن نفسه ضد الميكروبات التي تغزو جسمه .

وعناصر الدفاع ثلاثة :

أ - الليمفونيس : وهو خط الدفاع الأول ويقول الدكتور الان مر أستاذ

بيولوجيا الخلية وأمراض النساء والولادة بجامعة تكساس : إن وجود الليمفوسين ، وهو أحد أنواع كرات اللبن البيضاء في لبن الأم « منحة من الله تعالى للوليد ، يدافع عنه ضد الأمراض » ، كما يقول : « إن لبن الأم هو المشيمة الثانية - الخلاص - بالنسبة للمولود ، فالمشيمة الأولى التي تلازم الطفل في رحم أمه ، تمده بالدم الذي يحمل له الحياة ويحمل أجساماً مضادة تسمى « الخلايا القاتلة » ، ويحتفظ الوليد بهذه الخلايا القاتلة بعد ولادته لمدة أربعة أشهر أو خمسة ، حتى يتمكن جسمه من تكوين خلايا مضادة للميكروبات والجراثيم ، وتوجد فترة أسبوعين يكون الطفل أعزل من السلاح ، وبعد انتهاء هذه الفترة ، وحتى تكوين هذه الخلايا الجديدة ، وفي هذه الفترة إذا كان يرضع من لبن الأم : « فإن الخلايا تهب لانقاذه من الغزاة وتفتك بهم ، أما التغذية الصناعية فلا يوجد فيها هذا » وحالات الموت المفاجيء لحديثي الولادة ، ترتفع كثيراً في الأطفال الذين يرضعون صناعياً .

ب - **الأجسام المضادة** : في لبن الأم أجسام مضادة للحميات المعوية ، التيفود والباراتيفود ، وهذا ما يفسر قلة حدوث هذه الحميات في الأطفال الذين يرضعون طبيعيا من أمهاتهم وبخاصة في فصل الصيف .

وقد أثبت الدكتور راندال جولد بلوم أستاذ طب الأطفال بجامعة تكساس في بحث أجراه على السائل الأصفر الموجود في ثدي الحامل « أن الكولسترول يحتوي على أجسام مضادة لجراثيم الحميات المعوية قبل الولادة بشهرين ، ويستمر

إفــرازه في اللبن بعـد الـولادة » وفضـل هذه الأجسـام في رأيـه « أن الأم تتعـرض لميكـروبـات معـويـة بكميـات قليلة ، تكفي لتشجيع الجسم في أن يصنع الخلايا المنتجة للأجسام المضادة في أمعاء الأم ، ثم تنتقل إلى ثديها ، وهناك تتولى خلايا الكـولسـترول ، تصنيـع الأجسـام المضـادة للميكـروبـات ، ثم تفرز في لبن الأم سلاحاً قوياً ، لحماية الوليد من هذه الأمراض » .

جـ - اللاكتوفرين - قاتل الجراثيم الخطيرة : في كلية طب مينا بولس ، جامعة منوشونا الأمريكية ، اكتشف فريق من الباحثين عنصراً ثالثاً من لبن الأم ، وهو اللاكتوفرين الحديدي الأحمر ، الذي يفرز أيضاً في الدموع واللعاب ويفرزه الغشاء .

وفي مستشفى سانت ماري أجرى الدكتور « روبرت لابرين » مع فريق من الباحثين ، تجارب على لبن أربعمائة من المرضعات المتطوعات ، حيث فصلوا منه اللاكتوفرين ، وأثبتوا فاعليته الكبيرة في القضاء على الميكروبات والجراثيم .

نعم للثدي - لا للحليب الصناعي : ومن هنا فقد أصبح شعار المؤتمرات المختلفة : « نعم للثدي لا للحليب الصناعي » .

الوقاية من أمراض الحساسية :

ولبن الأم يحمي الطفل من أمراض الحساسية ، فقد جاء في ملحق الراية القطـريـة عن النـدوة التي افتتحت في فرنسـا عن موضـوع « الحسـاسية الغذائية » بعددها الصدار في ١٩٨٢/١١/٣ م ما يلي :

« إن مرض الحساسية نوع من الحساسية الغذائية التي تبدأ مع الشهور الأولى في حياة الطفل ، وتنوع أعراض هذه المرض المحير وتختلف من حيث الشدة والخطورة ، فقد تتخذ شكل طفح جلدي أو اضطرابات هضمية ، بما في ذلك من تقلصات وإسهال ، بل وقد تصل إلى ضيق في التنفس وفقدان للوعي .

ويجمع الباحثون : على أن الاستعداد للإصابة بالحساسية الغذائية ، يتكون في السنوات الأولى من العمر وفي فترة الرضاعة بشكل خاص ، كما يعتقدون بأن العوامل الوراثية ، لها تأثير على مثل هذا الاستعداد .

ومن ثم : فإن تغذية الطفل بحليب الأبقار تساعد على حساسية لبعض أنواع البروتين الغذائي مستقبلاً ، بينما يمنح لبن الأم وقاية من ذلك .

ويشير الباحثون في تفسير ذلك : إلى أن الرضاعة الطبيعية ، تحمي الطفل من النزلات المعوية التي تضعف جدار الأمعاء ، ومن ثم يتيح لأنواع البروتين الغريبة عن الجسم مثل لبن الأبقار المرور على الدم ، وبالتالي ، فإن هذه الظاهرة تمهد الأرض للحساسية الغذائية .

وفي غياب النزلات المعوية ، فإن جدار أمعاء المولود تكون منفذة للبروتينات بشكل عام ، إلاّ أن بروتين لبن الأم إذا نفذ لتيار الدم ، لا يسبب أية حساسية ، بل والأكثر من ذلك ، فإن لبن الأم يحتوي على مواد تساعد على تلاحم وتقارب خلايا الغشاء والبطن للأمعاء ، وهو ما يمثل مناعة أفضل للمستقبل عندما يكبر الطفل .

وبحث علمي يؤكد ذلك : وقد أكد بحث علمي بكلية طب طنطا : أن لبن الأم يقلل من ظهور أمراض الحساسية الوراثية لدى الأطفال لاحتوائه على بعض الأجسام المناعية التي تكسبهم مناعة في مواجهة المرض .

وقد نوقشت نتائج هذا البحث في المؤتمر الذي عقدته جمعية أمراض الحساسية في باريس عام ١٩٨١ م ، وصاحب هذا البحث الدكتور سمير خضر ، الأستاذ بقسم الصحة العامة بكلية طب طنطا ، بالاشتراك مع الدكتور فيالات أستاذ أمراض الحساسية بطب باريس ، قال الدكتور سمير : « إن الأبحاث العديدة حول أمراض الحساسية قد أثبتت أنه توجد مادة تسمى الايمفوجلوبين ، تتميز بقابليتها للتفاعل مع بعض الأجسام الخارجية كالتراب وحبوب اللقاح وبعض الفطريات ، وهذا التفاعل يؤدي إلى أمراض الحساسية ، كما أثبتت الأبحاث ارتفاع نسبة هذه المادة في دم الأشخاص الذين عندهم استعداد وراثي لأمراض الحساسية .

ويقول الدكتور سمير : « إن البحث الذي أجراه بالاشتراك مع الأستاذ الفرنسي قد أثبت : أن لبن الأم يحتوي على بعض الأحجام المناعية التي تقلل من إفراز مادة الايمنوجلوبين ، المسببة للحساسية ولذلك كان للرضاعة الطبيعية من لبن الأم فائدة كبيرة ، في منع ظهور الحساسية في السن المبكر للطفل ، لأن الأجسام المناعية الموجودة في اللبن تضعف من وجود مادة الايمنوجلوبين ، وبالتالي تقلل من أمراض الحساسية .

ويضيف الدكتور سمير : إن معظم الأبحاث العلمية حول أمراض الحساسية تتركز حالياً على إيجاد وسيلة فعالة لمنع التفاعل بين مسببات الحساسية كالتراب والفطريات ومادة الايمنوجلبين « الأخبار القاهرية عدد ١٩٨١/٤/٦ .

وقد جاء في صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨١/٥/١٣ م « يفضل المتخصصون اتباع النقاط التالية لبحث إصابة الطفل من الحساسية أو تخفيف حدته إذا كان مصاباً بالفعل» .

الرضاعة الطبيعية لأنها تحمي الطفل من احتمال الإصابة بالحساسية التي قد تسببها البروتينات الموجودة في اللبن البقري ، كما أن لبن الأم يحتوي على مواد بيئية ، تحمي الطفل من الإصابة بأي مرض ، بالإضافة إلى أنه يعطي فرصة لبناء جهازه المناعى لمدة ثلاثة أشهر تقريباً .

وبعد هذه الفترة يجب الحرص على عدم تقديم أي أغذية قد تسبب الحساسية مثل البيض والسمك والشيكولاته للطفل الذي تقل سنه عن عام .

وبعد هذه الفترة ، يجب على الأم مراجعة طفلها لمدة أسبوع ، بعد كل نوع طعام جديد تقدمه له لتعرف مدى تأثيره عليه .

أسنان الطفل والرضاعة الطبيعية :

أجريت دراسات في إحدى مستشفيات ألمانيا الغربية ، لمعرفة تأثير تغذية الطفل ورضاعته رضاعة طبيعية في الوقاية من التهابات اللثة والفم ، وتناولت

الدراسة مائة طفل في مراحل النمو المختلفة ، وقد أجريت لهم الفحوص اللازمة لكشف مدى إصابتهم بأمراض الفم والأسنان ، مع وضع تحليل كامل عن حياة الطفـل والأمـراض التي أصيب بها والأدويـة التي تناولها ، وقد دلت نتائج التجربة على أن الأطفال الذين اعتمدوا في تغذيتهم على الرضاعة الصناعية ، دائماً ما يصابون بأمراض تسوس الأسنان والتهابات اللثة ، عكس الأطفال الذين اعتمدوا على الرضاعة الطبيعية في التغذية منذ الولادة .

ويؤكد البحث : « أن هناك علاقة أكيدة بين إصابة اللثة والترسبات التي تظهر على أعناق الأسنان كرد فعل لعملية تخريب اللثة الناتج عن الترسبات ، وهذه الترسبات تزداد مع قلة المناعة الموجودة في جسم الإنسان والتي تبدأ خلال مراحل نموه في الأشهر الثلاثة الأولى ، وإن الرضاعة الطبيعية في هذه المرحلة تكسب الطفل حصانة تاريخية ناتجة من البروتينات النوعية وغير النوعية التي يحتويها حليب الأم .

أما بالنسبة لتشوهات الأسنان والتي تأتي نتيجة من سوء تركيب الأسنان بعضها على بعض نتيجة لعدم وجود مسافة كافية لها مما يؤدي إلى ركوب بعضها على بعض ، فإن الأطباء يؤكدون على : أن هذا يرجع سببه إلى عدم وجود كميات مناسبة لاحتياجاته في عملية بناء الأسنان بالذات والتي يمكن تعويضها من حليب آخر .

كما يؤكد البحث على أن أسباب بروز الفك وتشوه الأسنان يرجع إلى الخلع المبكر والتسوس المبكر أيضاً بالنسبة للأسنان اللبنية المؤقتة ، مما يؤدي إلى

انحراف السن الجديد للداخل أو للخارج ، أما بعض العادات السيئة التي تشوه الأسنان في سن الطفولة ، مثل مص الأصابع وعض الشفة ودفع اللسان وتناول « البيبينة » أو المصاصة البديلة « البزازة » ، فهي تسبب تشوه الأسنان أو بروزها بشكل غير طبيعي يؤثر فيها بعد على نمو الأسنان وانتظامها وتغير شكل الوجه .

وينصح الأطباء كل أم بالاهتمام بالرضاعة الطبيعية ورعاية أطفالهن ، وبخاصة في سن التسنين . « صحيفة الراية القطرية في ٢٩/١٠/١٩٨٠ م ».

وهناك دراسات أخرى تمت في مصر أمكن عن طريقها استنتاج حقائق هامة في هذا الموضوع ، من بينها : تزايد الحاجة إلى تقويم الأسنان عاماً بعد عام ، فقد أصبحت نسبة الأسنان التي تحتاج إلى عناية عام ١٩٨٠ م ٣٠٪ بعد أن كانت منذ عشرين عاماً صفراً .

والطبيب جمال الدين مدين ، وكيل وزارة الصحة ونقيب أطباء الأسنان ومدير مركز أبحاث طب الأسنان بمصر يقول : « لقد أجريت دراسة تمهيدية عام ١٩٥٥ م وكانت نسبة حالات تقويم الأسنان قليلة جداً ، كما جاء بالبحث الذي أجراه المجلس الدائم للخدمات .

ويرجع سبب تسوس الأسنان إلى سببين :

- الوراثة - والنسبة بسيطة ، ويكون شكل الفم والأسنان متأثراً بعوامل وراثية .
- أسلوب التغذية - حيث انتقل الشعب المصري من الغذاء الصلب إلى الغذاء اللين ، فتجهيز الطعام بطريقة سهلة المضغ مثل الفطائر والنشويات ، لا

يساعد على كثرة العضلات المتصلة بالفكين ، مما سيسبب عدم نمو الفكين بالقدر الكافي فتظهر أكثر بروزاً في أحد الفكين ، وبالتالي في الأسنان ، وكذلك الرضاعة الصناعية ، فهي أيضاً مسؤولة عن اعوجاج وتشوهات الأسنان .

والدليل على ذلك :

إن الشعوب البدائية والقبائل التى يعتمد أطفالها على الرضاعة الطبيعية ، لا يوجـد بينهم من هو فى حاجة إلى تقـويم ، حيث أن الأسنـان تنتظم بشكـل طبيعى ، فى الوقت الذى نجد فيه الدول الأوربية والإسكندنافية وأمريكا تبلغ فيها نسبـة الأطفـال المحتـاجـة إلى تقـويم الأسنان حوالى ٨٠٪ ، وإن كانت عملية تقويم الأسنان فى تلك الدول يترتب عليها مشاكل اجتماعية كثيرة . « الأهرام فى ١٣/٣/١٩٨١ » .

أخطار التغذية الصناعية على الأسنان اللبنية :

يقـول الـدكتـور مصطفى أمـين كامل ، أخصائى جراحة الفم والأسنان فى صحيفـة الأهـرام القـاهـرية بتاريخ ١٩/٢/١٩٨٢ عن أسباب ظهور الضب عند الأسنان « التسنين عملية فسيولوجية ، تحتاج إلى خبرة طبيب الأطفال الذى يقوم بعـلاج الطفـل ، حسب الأعـراض التى يشكـو منهـاوخـبرة طبيب الأسنان الذى سيقوم بعمل العلاج الموضعى اللازم ، الذى يحيط بمنطقة الضرس أو اللثة الذى يحاول الظهور فى الفم ويشق له طريقة بتسهيل عملية الظهور فى الفم » .

ودور الأم هنا هو العناية بالطفل وبغذائه وبنظافة فمه ، مع فهمها وإلمامها بحقائق هذه المرحلة الهامة فى حياة الطفل .

وينبه الدكتور مصطفى الأمهات الى أن استعمال لبن البزازة ، مع بداية فترة التسنين يؤثر على شكل الأسنان العليا الأماميه ، ويجعلها تبرز الى الأمام كثيرا ، مما يساعد على ظهور الضب ، لأن الضغط المستمر لتك البزازة على الجزء الأمامى من الفك العلوى فى أثناء فترة نموه ، قد يجعل ذلك الفك ينصرف عن اتجاهه الصحيح ويبرز للأمام بروزاً شديدًا ، وهذا يسبب عدم انتظام الأسنان الأمامية (الضب)

اللبن الصناعي والإسهال :

يقول الدكتور عبد الخالق خطاب أستاذ طب الأطفال فى جامعة عين شمس كما جاء فى صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨١/٧/٥ « إن إصابة بعض الأطفال بالإسهال يكون نتيجة عدم تحملهم لسكر اللبن « اللاكتوز » الذى يصل إلى الأمعاء مع اللبن ، ويتم هضمه وبوساطة إنزيم خاص يوجد فى جدار الأمعاء الدقيقة ، ويسهل عملية وصول السكر إلى الدم ، ففى حالة هذا الإنزيم لا يتم هضم اللاكتوز أو امتصاصه ، فيظل فى الأمعاء ويؤدى بالتالى حدوث إسهال .

ويعنى هذا : أن الأطفال الذين يعانون من نقص هذا الإنزيم يصابون بالإسهال بمجرد شرب اللبن أما بالنسبة الى نقص هذا الإنزيم ، فيمكن أن

يكون خلية وراثية ، أى أن الطفل يولد دون وجود هذا الإنزيم فى جدار الأمعاء ، وهى حالات نادرة ، بالمقارنة إلى النوع المكتسب الذى كثيرًا ما يحدث عقب النزلات المعويه أو نتيجة سوء التغذية أو بسبب تناول بعض الأدوية مثل المضادات الحيوية .

وتقول الدكتورة صافيناز المراغى أستاذ طب الأطفال بقصر العينى : إنه كثيرًا ما نلاحظ أن الطفل الذى يشفى من دور إسهال شديد يتعرض أحيانًا لنكسة بعد تناول اللبن الصناعى الذى كان يتناوله قبل الإصابة بالنزلة ويعود الإسهال مرة أخرى .

ونرى هذه الظاهرة بكثرة عند الأطفال الرضع الذين يتناولون اللبن الصناعى ، ويرجع هذا الاضطراب إلى حدوث تغييرات فى الغشاء المخاطى للأمعاء يؤدى إلى حدوث بعض التلف والخلل فى الأنسجة وفى وظائف الأمعاء ، وبخاصة قدرتها على امتصاص المادة السكرية اللاكتوز .

ومن المعروف « أن أنواع الألبان الصناعية تحتوى على هذا النوع من السكر ، وقد أجرت الدكتورة صافيناز بحثاً على ٦٠٠ طفل ، بعد إصابتهم بنزلة معوية حادة وأثبتت النتائج أن ٥٠٪ » من هؤلاء الأطفال يتعرضون للإصابة بإسهال متكرر إذا تناولوا نفس اللبن مرة أخرى بعد انتهاء الإسهال مباشرة .

الرضاعة الصناعية وضغط الدم :

وقدأعلن فريق من الأطباء الألمان : أن هناك ارتباطاً وثيقا بين الرضاعة

الصنـاعيـة وإصـابـة الإنسان بارتفاع ضغط الدم فى مراحل عمره المتقدمة ، حيث تحتوى الألبان الصناعية ، وبخاصة اللبن البقرى ، على نسبة ٤٢٪ أملاحا زائدة عما يوجـد فى لبن الأم ، ومن ثم يخلق عنـد الإنسـان منـذالصغـر ميلا طبيعيا إلى إضافة إلى كميات كبيرة من الملح لكل أنواع الأطعمة التي يتناولها ، وبالتالي يزيد من احتمال إصابته بأمراض ارتفاع الدم .

وقد أثبتت الدراسات أن هناك طفلا واحدا من بين كل ٢٠ طفلا رضيعًا يبلغون شهرين .

وأن هناك طفلا واحدامن بين كل مائة طفل رضيع من يبلغون اربعة اشهر .

يحصلون على النسبـة المنـاسبـة من الأمـلاح ، وذلك نتيجة لزيادة الاعتماد على الـرضـاعـة الصنـاعية ، في حين أن أولئك الأطفال الذين لا يتناولون إلّا لبن الأم ، يحصلون على ما يحتاجون فقط ، حيث يحتوى اللبن على نسبة الاملاح البيولوجية اللازمة للطفل الرضيع .

ويؤكد الأطباء « أنه على الرغم من أن هناك أسبابا كثيرة للاصابة بارتفاع ضغـط الـدم ، كأمـراض الكلى المختلفـة واضطـرابـات الجهاز العصبى ، الا أن ارتفـاع نسبـة الأمـلاح فى الطعـام من الأسبـاب المبـاشرة للإصابة به ، وان كان لم يتضـح بعــد كيف تتسبب فى هذه الاضطـرابـات حيث ثبت من الـدراسـات أن استهلاك الفرد ، سواء من الدول المتقدمة أو الدول النامية ، من الأملاح يصل الى ١٣ جرام يوميـا ، فى حين أن ما يحتـاجـه الجسم لا يتعـدى ثلاثـة جرامـات

يوميا ، يستطيع الحصول عليها من الخضروات الطازجة الحية ، دون الحاجة إلى الأطعمة المملحة » .

ويحـذر الأطبـاء الأمهـات : من الاعتـماد على أطعمة الأطفال المحفوظة إذ تحتوى على نسبة مرتفعة من الأملاح تصل الى خمسة أضعاف النسبة الموجودة فى لبن الأم ، وكذلك يحذرهن من الاعتماد على مذاقهن الخاص من ناحية الملح فى اعداد الوجبات الغذائية للأطفال ، فى حين لايحتاج الأطفال الى نسبة الأملاح التى يستسيغها الكبار « الاهرام فى ٢٨/١٠/١٩٨٠» .

اللبن الصناعى يحد من ذكاء الطفل :

« احذرى أن تعطى طفلك لبنا صناعيا فى شهوره الأولى ، حاولى دائما أن ترضعيـه من لبنـك الطبيعى ، لقـد ثبت علميـا أن اللبن الصنـاعى يحد من ذكاء الطفل ، وأن الأطفال الذين اعتمدوا فى طفولتهم على لبن الأم ، هم أكثر ذكاء من الأطفال الذين تربـوا على اللبن الصناعى »

هذه الحقيقة العلمية توصلت اليها كلية الطب بجامعة الزقازيق من خلال بحث استمر اكثر من عامين ، حيث قام الدكتور مجاهد ابو النجا استاذ ورئيس قسم الأطفال بالكلية ببحث ميدانى على **٣٠٠** طفل ، تتراوح أعمارهم ما بين **٣ـ٥** سنوات ، للتعرف عما اذا كان هناك علاقة بين ذكاء الطفل ونوع اللبن الذى تناوله فى شهور الاولى ، ثم تقسيم الحالات الخاضعة للبحث الى مجموعتين كل واحدة منها تضم **١٥٠** طفلا :

الأولى : اعتمدت على لبن الأم في نموها .

والثانية : عاشت على اللبن الصناعى .

وقد روعى عند اختيار المجموعتين أن تكونا متشابهتين في الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، كما أجريت لهما جميع الفحوص الطبية ، للتأكد من خلو أصحابها من الأمراض التي تؤثر على القدرات العقلية مثل : « أمراض الغدد وأمراض سوء التغذية وكذلك الأمراض الوراثية » ، وبعدها بدأ الباحث في تطبيق قواعد اختبارات الذكاء على أفراد المجموعتين ، وقد شملت هذه القواعد عرضاً لبعض صور الأشياء وإمكانية كل مجموعة من التعرف عليها ، كما استخدم أيضاً المكعبات التي تكون بعض الأشياء وعرضها على المجموعتين لتقوم كل مجموعة منها بإعادة ترتيبها في زمن محدد فماذا حدث ؟

يقول الباحث : « إنه أمكن من خلال هذه الاختبارات التي دامت أكثر من سنتين التوصل إلى عدة حقائق علمية هامة ، فقد ثبت أن الأطفال الذين اعتمدوا في طفولتهم على لبن الأم أكثر ذكاء من الذين كانوا يتناولون لبناً صناعياً ، وان السبب في ذلك هو أن أسرع مرحلة لنمو المخ في الإنسان تكون في العام الأول من حياته وفي خلال هذه الفترة يكون في حاجة إلى مواد غذائية كاملة ، وهي لا تتوافر إلّا في لبن الأم ، وأي نقص في هذه المواد خلال هذه المرحلة ، غالباً ما يؤدي إلى نقص القدرات العقلية .

لماذا كانت الرضاعة الطبيعية هي الأفضل : ذكرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/٥/٢١ م إجابة على السؤال الآتي : لماذا

كانت الرضاعة الطبيعية هي الأفضل ؟ « يؤكد د . بول جيورجي - أخصائي الأطفال بجامعة بنسلفانيا الأمريكية : ان لبن الأم يعطي الطفل بروتينات ووحدات حرارية ومعادن وفيتامينات ممزوجة بنسب متوازية تشكل الغذاء المثالي للطفل في أدق مرحلة من مراحل حياته ، ولبن الأم مادة حية تحتوي على عناصر ضد العدوى وتكسبه مناعة من أمراض الطفولة الشائعة » .

وقد أظهر أحد الأبحاث التي أجريت في بريطانيا في الفترة ما بين عام ١٩٧٨ - ١٩٨٠ م أن هناك علاقة أكيدة بين معدلات الذكاء المنخفضة والتغذية الصناعية .

كيف يحمي اللبن الطبيعي الطفل من الأمراض ؟

هذا السؤال تجيب عليه النشرة الصحية رقم /١ التي أصدرتها جمعية الهلال الأحمر القطري وقد جاء فيها :

أولاً : هذا الحليب نظيف وليس به مسببات العدوى .

ثانياً : حليب الثدي يجعل تفاعل محتويات الأمعاء حامضياً ، وهناك نوع من البكتريا غير الضارة تسمى « لاكتوبا سيلس باي فيدس » والتي تنمو بسهولة في الوسط الحامض وتتكاثر في أمعاء الطفل ، هذه البكتريا تمنع البكتريا الضارة والخطر من النمو .

ثالثاً : حليب الثدي به خلايا « المكروفج » الحية وهي تلتهم البكتريا الضارة ، كما

أن به خلايا ليمفاوية وهذه تحمل « اللانترفيرون » وغيره من العوامل المضادة للفيروسات .

رابعاً : يحتوي لبن الأم على « لاكتوفبرين » الذي يتمسك بالحديد ، وذلك يمنع من البكتريا التي يحتاجها الطفل للنمو .

خامساً : يحتوي حليب الثدي على خميرة ليسوزيم « أي خميرة توينة » وهي خميرة تهلك البكتريا .

سادساً : يحتوي حليب الأم على جلوبيولينات مناعية أي « أمبونوجلوبيولين » تأتي من أنسجة أمه ، وهي تحمي الطفل من كثير من البكتريا الضارة وبخاصة التي تصل إليه من أمه .

الرضاعة الصناعية وتصلب الشرايين :

لم يكن أحد يظن : أن الرضاعة الصناعية لها أثر في تصلب الشرايين في مستقبل الأيام ، إلى أن وقع حادث تصادم لإحدى السيارات منذ عشر سنوات ، قتل فيه أربعة شبان في سن المراهقة ، ولما قام الطبيب البريطاني « اسبورن » الذي يعمل رئيساً لقسم الباثولوجي بمستشفيات دربى ببريطانيا بفحصهم ، اكتشف مفاجأة غريبة . . فقد تبين له : أن شابين من الأربعة ، وهما من كبار الرياضيين مصابان بتصلب الشرايين ، وكانت هذه هي بداية الاكتشاف العلمي الخطير ، إذ بعد ذلك وفي أثناء قيام الدكتور اسبورن بتشريح جثة طفل رضيع وجد أنه مصاب بتصلب الشرايين ، على الرغم من أن عمره لم يكن يتجاوز بضعة شهور .

وبـدأت بعـد ذلـك عمليـة تجارب واسعة وأبحاث لمدة خمس سنوات ، قام خلالها الطبيب بتشريح آلاف الجثث للمتوفين وفي مختلف الأعمار ، من شهور إلى منتصف العمر ، وتأكد الظن الذي ساور نفس اسبورن : إذ تبين أن هؤلاء الذين أصيبوا بالأزمات القلبية وتصلب الشرايين في الأعمار المبكرة التي لا يقر الطبيب أن يصـابـوا بها هو أنهم رضعـوا في طفـولتهم رضـاعـة صنـاعية . . . وأصدر الدكتور اسبورن نتائج بحثه الطبي التجريبي الذي أثبت فيه : « أن الرضاعة الصناعية لا تؤدي مباشرة إلى حدوث الأزمات القلبية ، ولكنها تؤدي إلى حدوث اضطرابات في المعـدة ، وهي تؤدي بدورهـا إلى تصلب الشـرايـين ، فإن الاضطرابات تدفع الدم بطريقة غير طبيعية ويتهيج الشريان التاجي عند الطفل في سن مبكرة .

وهذا هو التفسير المعقول لظاهرة غريبة انتشرت أخيراً ، وهي زيادة نسبة الإصابة بالشريان التاجي ، وأصبحت تقارب ٨٪ من الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، وان هذه الظاهرة لم تكن موجودة منذ نصف قرن من الـزمـان حتى ولا منـذ قرن ، وأنهـا ارتبطت باتجـاه الأمهـات إلى الـرضـاعـة الصنـاعية وحرمان الأطفال من أثداء أمهاتهم . « الأخبار عدد ١٠ من رمضان ١٤٠٠ » .

الرضاعة الصناعية وموت الأطفال :

ولم يقف الأمر عند هذه الأمراض من آثار الرضاعة الصناعية ، بل أثبتت الأبحاث أن الرضاعة الصناعية تتسبب في موت أعداد كبيرة من الأطفال ، فقد

جاء في مجلة سيدتي التي تصدر في لندن (عدد ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٨١ م) ما يأتي : « في كل عام يموت مليون طفل على الأقل من بلدان العالم الثالث ، بسبب تغذيتهم أساساً بالحليب الجاف ، ومن بين الأطفال الذين لا يموتون ، يوجد عدد كبير يعانون من سوء التغذية ومن حدة الأمراض التي تؤثر على نموهم الجسماني والسبب « التمدن » .

في البحرين ، عندما انتشر وباء الكوليرا عام ١٩٧٨ م أبلغ طبيبان تابعان لمنظمة الصحة الدولية ، أنه عند مقارنة ٤٢ طفلاً أصيبوا بالكوليرا بعدد مماثل من الأطفال الذين لم يصابوا بها ، تبين أن الأسباب الرئيسية كانت راجعة إلى التغذية بحليب صناعي ، مما أدى إلى قلة المناعة لديهم وإصابتهم بالمرض ، بينما هؤلاء الذين تناولوا حليب الأم لم يتعرضوا للإصابة بالكوليرا ونجوا منها .

وفي دراسة تمت في مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٧٩ م على ١٩١ طفلاً من أجل قياس معدلات النمو عند إعطائهم حليب الأم ومقارنته بالحليب الصناعي ، كانت النتائج مذهلة للغاية وهي كما يلي :

٢٢٪ من الأطفال الذين تغذوا على حليب صناعي عانوا من مشاكل سوء التغذية بالمقارنة إلى :

٩٪ من الأطفال الذين تغذوا بلبن الأم الطبيعي .

٢٣٪ من أطفال الحليب الصناعي اضطروا إلى دخول المستشفيات ، بسبب إصابتهم بالأمراض ، بالمقارنة إلى صفر٪ من أطفال حليب الأم الطبيعي .

ـ معظم الأطفال الذين دخلوا المستشفى ، كانوا مصابين بحالات من الإسهال الشديد الذي كان من أهم أسباب الوفيات بينهم .

وقد لوحظ أن الدول النامية تنفق الكثير من الأموال على الألبان الصناعية ، ويزداد الانفاق سنة بعد أخرى ففي سنة ١٩٧٢ م أنفقت أثيوبيا ونيجريا والفلبين على اللبن الصناعي ١٦٥ مليون دولار .

وفي سنة ١٩٧٦ أنفقت هذه الدول على اللبن الصناعي ٦٠٠ مليون دولار .

وفي سنة ١٩٨٠ أنفقت هذه الدول على اللبن الصناعي مليار دولار .
وقد نشرت اليونسيف في عام ١٩٨٠ م إحصاء عن الوفيات كالآتي :

- في العالم المتقدم يموت ٢١ طفلاً من كل ألف طفل .
- في دول العالم الثالث يموت ١١٦ طفلاً من كل ألف طفل .
- في افريقيا يموت ١٤٠ طفلاً من كل ألف طفل .

ولهذا كله : وجه أربعة آلاف طفل يمثلون ٨٥ دولة في المؤتمر الدولي في نيودلهي الدعوة إلى كل أمهات العالم لإرضاع أطفالهن من لبن الأمهات .

وجاء في تقرير الأمم المتحدة : « ان الأطفال زهور العالم ، وفي العالم أكثر من ٧٠٠ مليون زهرة في ١٢٠ قطراً يموتون في كل عام .

وقد أجمع المؤتمر الدولي على إعلان حقوق الطفل الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة لتؤكد حق الطفل في الرعاية والتعليم والتغذية السليمة وأساسها الرضاعة الطبيعية .

ولـنفس السبب كون البيت الأبيض لجنـة تسمى « لجنـة البيت الأبيض » لتشجيع الرضاعة الطبيعية .

وفي السـويـد والنـرويـج ، بدأت أجهزة الدعاية في القيام بحملات دعاية واسعة ومنظمة لشرح فوائد لبن الأم .

وفي فرنسا ـ صدر قانون ـ ينص على أنه يحق للأم الحصول على إجازة لمدة عامين من العمل للتفرغ للرضاعة الطبيعية للأطفال ، على أن تكون الأم قد أمضت في عملها أكثر من عامين ، مع الاحتفاظ لها بنفس الوظيفة والدرجة والعلاوات .

وقد أوصى المؤتمر الدولي الذي عقد في جامعة الدول العربية لمكافحة سوء التغذية بتشجيع الرضاعة الطبيعية لاحتوائها على المواد الزلالية والفيتامينات التي تقي الطفل من أمراض سوء التغذية والأمعاء « الأهرام في ٢٦/ ١١/ ١٩٧٩ م » .

ثدي الأمان :

والحكـومـة الـبريطـانية ـ بعد دراسة سنوات ـ حذرت من استعمال الألبان المجففـة ، بديـلًا لغـذاء الأطفال الرضع ، وأعلنت وزارة الصحة البريطانية « أن المشـروع القـومي للألبـان المجففـة كبديل لغذاء الأطفال الرضع له علاقة مباشرة بوفاة ثلاثة آلاف طفل في كل عام ، وحذرت أجهزة الإعلام من استعمال الألبان الصنـاعيـة وسمـوا ثدي الأم ثدي الأمـان والـرضعـة رضعـة الأمـان . « الـوعي الإسلامي عدد صفر ١٤٠١ هـ » .

سرطان الثـدي :

والأم تستفيد من الرضاعة الطبيعية لطفلها بقلة إصابتها بسرطان الثدي ، يقول د. فريدريك روبين الذي نال جائزة نوبل عام ١٩٧٦ م عن أبحاثه : إن نسبة إصابة الأم بسرطان الثدي أقل عند الأمهات المرضعات بل إن الدكتور علي إبراهيم أستاذ أمراض النساء والولادة يرى : أن الام المرضعة لابنها مدة سنتين نسبة إصابتها بسرطان الثدي صفر٪ « الأهرام في ٢٦/ ١١/ ١٩٧٩ م» .

اقتصادي ومعقم :

وإلى جانب هذا فإن لبن الأم اقتصادي ومعقم وملائم لتغذية الطفل ، وهو يقـوي العـلاقـة بين الأم وطفلهـا ، يقـول الدكتور علي عبد العال في الأهرام عدد ١٨/٧/١٩٨٠ م وهـو رئيس جمعيـة طب الأطفـال بالقـاهـرة يقـول : « وقد ثبت علميـاً أن لبن الأم يحتـوي على مادة لاكتـومـرين التي تحارب نمـو الميكـروبات في الأمعـاء وبخـاصـة ميكـروب « الكـولاى » الـذي يسبب معظم النـزلات المعـوية الخطـيرة ، كما أنـه يثبت ميكـروب الاكتـوبـاسيلاس في أمعاء الطفل ، وهو الذي يسـاعـد في هضم المـواد السكـريـة ، ويحتـوي على مادة دفـاعية ضد الميكروبات العنقودية التي قد تسبب بعض الأمراض التسممية عند الطفل حديث الولادة » .

ولذلك :

فقـد أصـدر المـؤتمـر الـدولي للأطفـال الذي عقد في نيودلهي توصياته لكل أمهات العالم بضرورة الرضاعة الطبيعية من لبن الأم .

لبن الأم يختلف على مدار السنة :

ولبن الأم له ميزة أخرى بالنسبة للطفل أظهرها البحث الذي أجراه الدكتور واصل أبو العلا - أستاذ الألبان بجامعة الزقازيق - فقد أظهرت التحليلات الكيميائية التي أجريت بصفة منتظمة كل شهرين على لبن الأم من حيث نسبة الدهون به والبروتين والمواد الصلبة اللادهنية ، وكذلك سكر اللاكتوز أن نسبة الدهون في اللبن كانت أكبر مركبات اللبن تأثيراً بشهور السنة المختلفة ، فقد بلغ متوسط نسبته ٣ر٨٪ خلال الفترة ما بين شهري يونيه وسبتمبر ، والتي تمثل أشهر الصيف في مصر .

ويضيف دكتور واصل قائلاً : « إنه لوحظ ابتداء من شهر أكتوبر أنه كانت هناك زيادة في نسبة الدهون بلغت ٣ر٥٪ ، ثم انخفضت بعد ذلك ابتداء من شهر مايو حيث كانت ٣٪ .

أما نسبة المواد الصلبة اللادهنية فكانت تلي نسبة الدهنيات ، من حيث تأثره خلال أشهر العام حيث بلغت نسبتها ٨ر٨٢٪ خلال فصل الصيف (شهر يونيه) مقابل ٩٪ خلال باقي أشهر السنة ، إلا أن نسبة البروتين ، لم تظهر اختلافاً واضحاً خلال شهور السنة ، وكذلك الحال بالنسبة لسكر اللاكتوز . أما البروتين فقد تراوحت نسبته مابين ١ر٦٠٪ إلى ١ر٩١٪ بمتوسط ١ر٧٣٪ .

ويمكن القول بأن أطفال الشتاء غالباً ما يكونون أصحاء سليمين من

الناحيةالصحية ، وذلك لاحتواء لبن الأم في هذه الأشهر على أعلى نسبة من المواد المقدمة للطفل .

هذا بالإضـافـة إلى أن الطقس يكـون أكثـر ملاءمـة للطفـل ، فتقـل نسبة حدوث الاضطرابات المعوية لهم .

العلاقة بين الأم وطفلها :

الاستقـرار النفسي للأم والطفـل والعلاقة بينهـما تكـون أكثر في الـرضاعة الطبيعية وغريزة ارتباط الطفل بأمه تبدأ وهو جنين ، ثم يزداد هذا الارتباط بمعدل سريع في فترة الرضاعة ، ويكون الارتباط بدرجة كبيرة جداً ، إذا كانت الرضاعة طبيعيـة ، وقـد جاء هذا في كتـاب صدر عام **١٩٧٩** م تحت عنـوان : « الارتبـاط والضياع » للعالم النفسي جوهان باربلس .

وجـــاء أيضـاً في كتـاب : « الحب والطفـل » الـذي صدر في باريس وألفـه الكـاتب « تورجـانـوف » وتحـدث فيـه عن علاقة الأم بطفلها ، وقد ذكر فيه : أن الطفـل الـذي رضـع من ثدي أمـه يحبهـا ويتعلق بها أكثـر من الطفل الذي رضع صناعياً بنسبة ٨٠٪ .

كما أثبتت الأبحـاث العـالميـة : أن الرضاعة الطبيعية تحول الطفل العصبي إلى طفـل هادىء ، فعنـدمـا تتكـرر مرات الـرضـاعة وتتكرر معها رؤ ية وجه الأم الهادىء الحنون ، يتحول طفلها العصبي في أيام قليلة إلى طفل هادىء الطباع

والمزاج ، على عكس الرضاعة الصناعية التي يمكن أن تحول طفلاً هادئاً بطبعه إلى طفل عصبي المزاج .

سر حنان الأمومة في الرضاعة الطبيعية :

وقد كشف بحث طبي مصري : أن هناك عضلات دائرية وعضلات طولية هي التي تتحكم في ادرار اللبن للطفل الرضيع من ثدي أمه ، أثبت البحث الذي أجراه الدكتور سمير طلعت أستاذ ورئيس قسم جراحة التجميل بطب القصر العيني : « أن العضلات الدائرية هي التي تغلق القنوات اللبنية ، أما العضلات الطولية فإنها في حالة انقباضها تقوم بفتح القنوات اللبنية ، وهي مشابهة تماماً للعضلات الموجودة بقيمة اللبن .

وكان هدف البحث الذي أجرى على ٢٠ حالة ، معرفة دقائق أنسجة الثدي وبالذات المنطقة المتقدمة منه ، والتي تتحكم في إدرار اللبن للطفل الرضيع ، بهدف المساعدة في إجراء جراحات التجميل سواء أكان لتصغير الثدي أم لتكبيره .

وقال جراح التجميل المصري : « إن البحث كشف عن وجود فجوات مليئة بالدم بين هذه العضلات تتمدد وتمتلىء عند استرخائها ، وأهمية البحث ترجع إلى إعطاء صورة كاملة لجراح التجميل وهو يتعامل بالجراحة في إعطاء الشكل الطبيعي لثدي المرأة .

وقد فسرت نتائج هذا البحث أن امتلاء هذه الطبقة بالدم في أثناء رضاعة الطفل قد تفسر بشدة حنان الأمومة الذي ينتج عن الرضاعة وحب الطفل الرضيع لأمه والذي ثبت أنه يكون أكثر صلابة في الحالات التي ترضع طبيعياً عنها في الحالات الصناعية . « الأهرام في ١٩/١/١٩٨١ م » .

العالم يتحرك :

ولكثرة الاضرار التي ترتبت على الرضاعة الصناعية ، بدأ العالم يتحرك حتى يقلل من أضرار الألبان الصناعية ، فقد وافقت شركة نسله التي تتخذ من الساحل الشرقي لبحيرة جنيف مقراً لها على عدم الإعلان عن بدائل لبن الأم التي تنتجها أو توزيع عينات مجانية أو تقديمها هدايا إلى العاملين في مجال الطب في العالم الثالث وتقول جماعة حماية المستهلكين : « ان ألوف الأطفال الرضع توفوا في الدول النامية بعد أن تمت تغذيتهم ببدائل تم إعدادها في ظروف غير صحية بدلًا من لبن أمهاتهم » .

وشركة نسله واحدة من بين ٢٠ شركة أخرى مشتركة في مجال أغذية الأطفال التي تدر حوالي ملياري دولار سنوياً ، إلّا أنها أثارت الجانب الأكبر من الحملة الدولية ضد بدائل لبن الأمهات نظراً لأن ٦٠٪ من سوق البدائل التي تنتجها موجود في الدول النامية .

وقد قام المشتركون في الحملة في الولايات المتحدة بمقاطعة منتجات نسلة هناك منذ عام ١٩٧٧ م ، احتجاجاً على ما وصفوه بأنها سياسات المبيعات العدوانية للشركة في العالم الثالث .

وقد تزايد الضغط من أجل الاعتراف بأن تغذية الأطفال الرضع على لبن الأمهات هو أكثر أنواع التغذية طبيعة وصحة واقتصاداً ، حتى أن منظمة الصحة العالمية أقرت مجموعة من القواعد الدولية التي تفيد الدعاية لأغذية الأطفال في اجتماعها السنوي لعام ١٩٨١ م ، وكانت نتيجة الاقتراع على القواعد ١٨ إلى ١ ، حيث اعترضت الولايات المتحدة فقط على القواعد الاختيارية ، وقال مندوبها : « ان بلاده تعارض تدخل المنظمة في التشريعات التجارية » .

وقد استقال الدكتور ستيف جوزيف كبير المستشارين الطبيين لوكالة التنمية الدولية الأمريكية احتجاجاً على معارضة واشنطون قائلاً : « إنها عديمة الضمير وتلحق الضرر بصحة ونمو أطفال العالم ، ويقول الدكتور دريك جيليف أخصائي التغذية في جامعة كاليفورنيا : « إنه فضلاً عن ألوف حالات الوفاة ، فإن حوالي عشرة ملايين طفل يعانون من سوء التغذية أو الإصابة بالأمراض المعوية سنوياً ، بسبب تغذية الأطفال بزجاجات الرضاعة على نحو غير صحيح .

دعايـــة الشركات :

وقد استهدفت شبكة العمل الدولية في حملتها أساساً الدعاية عن أغذية لها

في كل وسـائـل الاعـلام وبتـوزيـع عينـات مجانيـة على الأمهات في أيام الأسواق بالقرى وبتقديم إمدادات من بدائل لبن الأمهات إلى المسؤولين المحليين في مجال الطب .

وقال المشتركون في الحملة : « ان بدائل لبن الأمهات قد قدمت على أنها الطريقة الحديثة والصحية لتغذية الأطفال حتى في بعض أفقر الدول في العالم » .

وأضافت شبكة العمل الدولية أنه في بنجلاديش على سبيل المثال : أشيد بالبدائل على أنها أفضل غذاء للطفل . وقد وزعت العيادات الطبية في زيمبا بوي كتيبـات من إحـدى الشـركـات المنتجـة لغـذاء الأطفـال الرضع تصور أمهات من البيض وأطفالهن وتقول : « هناك فرصة سانحة لأن تكوني بين ٨٠٪ من السيدات اللاتي بدأن يغذين أطفالهن الرضع على غذاء معد بديل عن اللبن ، وقد هدفت القواعد التي أقرتها منظمة الصحة العالمية في مايو عام ١٩٨١ م التي تقيـد هذه الدعاية إلى أكبر قدر ممكن بدعوتها الحكومات إلى إصدار قوانين تحظر كل دعاية للأغـذيـة البـديلة عن لبن الأمهـات وتقـديم عينات مجانية إلى الأمهات والأطباء ومسؤولي الصحة « الراية القطرية ١٩٨٢/٣/٢٤ م » .

لغة خاصـــة :

إن بين الأم وطفلهـا لغـة خاصـة ، يفهم كل طرف منهـا ما يعنيـه الطـرف الآخر ، وهذا مالفت نظر المصورة الصحفية سوزان سامر فألفت في هذا الموضوع كتاباً عنوانه : « اللغة غير المتكلمة للأطفال » .

وذلك بالتعاون مع أستاذ علم النفس اليزابيت ناليبورس فهو يعرض ويصور كيف يستعمل الأطفال حركات الجسم كوسيلة للاتصال ومن ذلك :

لغة الحواجب :

رفع أحد الحاجبين يكون في معظم الأحيان تعبيراً عن عدم الثقة أو عدم تصديق ما يقال له . أما رفع الحاجبين معاً ، فدليل على الدهشة وانخفاضهما يعني الشك .

لغة الأكتاف :

عند ما يرفع الطفل أحد كتفيه ، فهو يقول : أنا لا أكترث أو لا أعلم . ورفع الكتفين معاً يشير إلى الخوف . أما الأكتاف المربعة فتكون دليلاً على العزم والتصميم . وانخفاضهما يعني : أن الطفل يشعر أنه مثقل بأعباء يمكن أن تكون حقيقية أو من نسج خياله .

لغة الأيدي :

أكثر الأشكال شيوعاً بين الأطفال هي رفع اليد إلى الفم ، علامة على الحيرة والارتباك ، أما رفع اليد إلى الرأس ، فدليل على أن الطفل يشعر أنه مثقل بمهمة كلف بها .

الشعور بالغضب :

يتمثل في سحب الحاجبين معاً حتى يتقاربا والفم إلى أسفل .

الإحساس بالملل :

يتمثل في جذب الشعر والتحديق في شىء معين لفترة طويلة . « تلخيص الأهرام في ٢١/١٩٨٠١٩ م » .

الفصل الثالث

المساواة بين الرجل والمرأة
في
الحياة الغربية المعاصرة

المساواة بين الرجل والمرأة :

المساواة بين الرجل والمرأة كلمة خادعة أعطت الرجل فرصة ليتحلل من تبعاته الإقتصادية نحو المرأة ونحو الأسرة ، وهي من جانب المرأة قد أعطتها فرصة للتحلل من قيود الأسرة . . وفي ظل وسائل الدعاية والاعلام أصبح الغرب كله والشرق المتأثر بالغرب ينظر هذه النظرة ويؤمن بهذه الفكرة على أساس أنها نموذج حضاري . . وترتب على هذا أشياء كانت سبباً في تدهور الصحة النفسية والجسمية للفرد والمجتمع على حد سواء .

تقول الكاتبة الإنجليزية الليدي كوك : « إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد

الـزنـا ، وهـذا بلاء عظيم على المـرأة . . . ثم قالت : « علمـوهن الابتعـاد عن الـرجـال أخـبر وهن بعـاقبـة الكيد الكائن لهن بالمرصاد » ونلاحظ أن هذه الكاتبه تدرك الكارثة التي ستصيب بنات جنسها أولاً وتدمر كيان الأسرة ثانيا ، وهي لذلك تنصح وتطالب بتبصير المرأة بخطر الطريق الذي تسير فيه .

ويقـول شوبنهـور الألمـاني : « قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحـوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته وسهل عليها التغالي في مطامعهـا حتى أفسدت المدنية الحديثة .

والدكتورة ماريون هيليارد أستاذة علم النفس التي قضت أكثر من ٤٠ عاماً تدرس سيكلوجية المرأة والرجل معاً قالت : « المرأة أضعف من الرجل وأكثر تأثراً وحساسية وهي لذلك متعطشة دائماً للتقدير ، تقدير دورها كزوجة وأم . . فكم من إمرأة ضحت بعملها الذي كانت ترتزق منه قبل الزواج من أجل بيتها وأسرتها . . وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها » .

تخلخل الأســرة :

وعمـل المـرأة مع الـرجـل ينشأ عنـه تخلخل في الأسرة يقول سامويل سمايلز الإنجليزي : « إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكل الأسرة

وقوض أركان المنزل وفرق الروابط الاجتماعية ، فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم ، وصار لا نتيجة له إلّا إفساد أخلاق المرأة ، إذ أن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ، ولكن المعامل سلبتها من كل هذه الواجبات ، بحيث أصبحت المنازل غير المنازل وأصبح الأولاد يشبون على عدم التربية ويلقون في زوايا الإهمال ، وأطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلة في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقي » .

ويقول أحد الكُتّاب الأوربيين : « إن المرأة الأوربية كانت بردائها القديم خير مثل للرقة والأدب في المجتمع وكانت الزوجة الصالحة . . . وبلباسها الجديد تكشف عن عورة الأنثى لتؤكد المعنى الجسدي الذي يتمسك به مجتمع ساده الغرام باللذة العاجلة » .

وخروج المرأة الأوربية جعل لها حرية مشؤومة لم تنتفع بها هي ولا المجتمع ، ففقدت الشعور بالعاطفة نحو الأسرة وأصبحت امرأة تشبه رجلاً وجنت أوربا ثمار الأسرة المنحلة وأصبحت العلاقة القائمة الآن بين الرجل والمرأة في الحضارة الغربية قائمة على الناحية الجنسية وحدها . . وبذلك خمدت العاطفة بين الزوجين في الأسرة ، وبخاصة وأن الفرد هناك يقضي وطره مع من يريد ومتى يشاء ، وبذلك لم يعد هناك احترام للأسرة ولا تقديس للأبوة والبنوة » .

ونتيجة لإهمال الحضارة الغربية لعلاقة الرجل والمرأة واعتبارها جنسية فقط ، لم يعد عندهم أي ترابط داخل الأسرة من أي نوع ، حتى بين الآباء والأبناء وبذلك ضعفت العلاقات بين الناس جميعاً . . وقد وصل الأمر في بعض البلاد الغربية إلى أن يعلنوا عمن يموت بالإذاعة إذا كان له أقارب ليحضروا جنازته ، ثم لا يحضر إلّا القسيس وعامل الدفن الموظف الذي يؤدي وظيفته .

فهم خاطـئ :

يقول أبو الأعلى المودودي في كتابه الحجاب (ولقد فهموا في الغرب من معاني المساواة ألا يكون الرجل والمرأة متساويين في الحقوق البشرية والمنزلية الخلقية فحسب ، بل أن تؤدي المرأة في الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من الأعمال ، وأن يرخى لها من عنان القيود الخلقية مثلما أرخى للرجل من قبل) .

فهذه الفكرة الخاطئة للمساواة ، جعلت المرأة منحرفة عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية التي يتوقف على أدائها بقاء المدنية . . بل بقاء الجنس البشري بأسره واستهوتها الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . وحببتها إلى نفسها بكل ما في طبعها وشخصيتها . .

فمعارك الانتخابات النيابية ووظائف المعامل والمكاتب ومنافسة الرجال في المهن التجارية والصناعية الحرة والمشاركة في الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور

مجالس اللهــو العـاصف والظهـور على المســارح والاشــتراك في حفـلات الـرقص والسهرات العامة ، هذه وأمثالها من مشاغل الحياة ومتعها وأسباب اللهو والمجون التي يمنع عن ذكرها الحياء من خفايا هذه المدنية » .

« هذه كلهـا استـولت على مشاغــل المرأة وشغلت أفكارها وعواطفها شغلاً أذهلها عن وظائفها الطبيعية وطرد من برنامج حياتها القيام بتبعات حياتها الزوجية وتربية الأطفال وخدمة وتنظيم الأسرة ، بل كره إلى نفسها كل الأعمال التي هي وظائفها الفطرية الحقيقية ومن عواقب ذلك : أن النظام العائلي الذي هو أساس المدنية ودعامتها الأولية قد تبدد شمله في الغرب ، والحياة البيتية التي يتوقف على هدوئها وطمأنينتها قوة الإنسان العلمية ونشاطه ، تكاد تنعدم وتدخل في خبر كان » .

والمرأة التي قد تصبح أمّاً تلاقى في سبيل المحافظة على طفلها وهي حامل أو بعد الولادة كثيراً من ضغط العمل بحيث نراها تزهد في الأمومة وتحرص على عدم إنجاب الأطفال .

ورغبـة المـرأة الغـربيـة المعاصرة فى عدم الزواج كنظام لحياة الأسرة ، يرجع على عدم قدرتهـا على الـوفـاء بواجبـات الـزوجية فى المنزل وفى المعاشرة من جهة والـوفـاء بمتطلبـات العمـل خارج البيت من جهـة أخـرى ، وإقبـالهـا على نظام المشاركة للرجل الأجنبى عنها فى غير زواج فى السكنى وفى الإنفاق ، لأنه البديل عن المعـاشـرة الـزوجيـة بين الـرجـل والمرأة من جانب ، وبديل ليس فيه التزامات

تجبرها على الارتباط بها من جانب آخر ، سوى الشخصية في المشاركة أو عدم المشاركة .

وما أكثر المؤتمرات التى تنعقد للبحث عن حقوق المرأة والتى تنتهى إلى لا شىء . . لقد وضعوا المرأة بعيدًا عن موضعها الطبيعى وأصبحوا يفكرون فى حل المشكلات التى نجمت عن هذا الموضوع ، ولعل من آخرها مؤتمر برلين الذى عقد عام ١٩٧٨ وحضره مندوبون ومندوبات لثمانى دول ، وكان ثلث الحاضرين من الرجال .

تقول مجلة نيويورك تايمز « انتهى المؤتمر باتساع هوة الخلاف ، وقد انعقد أصلا للتقريب بين وجهات النظر : فريق يطالب للمرأة بحقوق أكثر على رأسها أن تحصل من الأزواج أو من الدولة على جزاء مادى لقاء رعاية الأطفال والعناية بالبيت .

وفريق يطالب الرجال والدولة بالقيام بأي شيء يخفف عن المرأة هذه الواجبات ، حتى تتاح لها فرصة أن تحيا حياة شبيهة بحياة الرجل بقدر الإمكان .

كان الطرفان يدافعان عن المرأة ، ولكنهما لم يتفقا على زاوية الدفاع ولا على ماينبغى لها أن تحصل عليه وقد طالبت إحدى المندوبات بضرورة دفع أجر للمرأة لقاء قيامها بالعمل فى بيتها على أساس أنه لا عمل بدون أجر وإلا أصبح نوعًا من

السخرة ورد أحد الرجال قائلا : « فماذا إذا قام الرجل بهذا العمل هل يدفع لنفسه ؟

أجر العبودية :

وقد يسأل سائل : وما الداعي إلى هذا كله ؟ ويجيب على هذا السؤال مقال لصحيفة بريطانية كتبته في صحيفة الجارديان اسمه « أجر العبودية » ناقشت فيه قضية المرأة وعملها من الأساس وسألت : ما الشيء الذي دفعني إلى الخروج من البيت للعمل ؟ بالطبع رغبتى فى عمل شىء يرضينى ويحقق ذاتى أكثر من شغل المرأة وكذلك تطلعى لأعرف من أنا ؟ لأن الإنسان لايعرف من هو بمجرد رؤيته نفسه فى المرآة والسبب الثالث : أن أحقق شيئا من الاستقلال الاقتصادى .

وتمضى الكاتبة قائلة « حين تزوجت بقيت فى المنزل وقمت بكل الأعمال ورعيت أطفالى ، وكان زوجى كريمًا معى فى الناحية المادية بقدر ما يسمح به دخله وكنت أقول له شكرًا ، وهنا النقطة ، هل كان يقول شكرًا لصاحب عمله حين يعطيه أجره ؟ لقد كانت نقوده حقاً له أما نقودي التي يعطينيها هو فهي إشارة إلى كرمه ، وبقيت كذلك سبع سنوات ، ولكن حين وقع الطلاق أخذ زوجي كل شيء ، المشتريات والمنزل والمدخرات ووعيت الدرس وقررت أن أجد عملاً . . عملاً أنال عليه أجراً .

والآن وأنا امرأة حرة ولست عبدة ،فمن هو العبد ؟ هو الشخص الذى لا يؤجر على عمله ، وأن كثيرات من نساء هذا العصر يشبهن عبيد الرومان واليونان

قديمًا ، يقمن بعمل البيت ويربين الأطفال ويرضين الأزواج ولا ينلن أى أجر على هذا العمـل . . لقـد كنت ربـة بيت وكـذلـك أمى وجدتى فأنا سليلة أجيال من العبيد . . . حقيقة رفضتها وتغلبت عليها ويمكن سيدات البيوت ألا يقبلن هذا الشىء المسمى « أجر العمل المنزلى » فهو شىء جديد من أشكال العبودية ، فلو أنكن اتخذتن أجرًا على عمل البيت لصار واجبًا مفروضًا ، لا شيئاً تقمن به بدافع الحب . . . حب البيت والأطفال والزوج »

إن هذه الكاتبة عاشت سعيدة فى بيتها مع زوجها وأولادها سبع سنوات ، ولكنها حين طلقت وجدت نفسها قد فقدت كل شىء ، والذنب ليس ذنبها ، وإنما هو ذنب المجتمـع المخلخـل الـذى لم يجعـل لها حقـوقا تجاه زوجها السابق وأسرتها الأولى ، فثارت عاطفتها وقالت ما ظننت أنه الأسلوب الأمثل لحياة المرأة ، وهى بذلك لم تـر إلا الجانب القاتم من الصورة فقالت ما قالت . .

المرأة بين العمل والبيت

متى خرجت المرأة إلى العمل ؟
ولماذا خرجت تاركة وظيفتها الأساسية ؟

يجيب على هذه الأسئلة الـدكتـوره مرجـريت بش ، عالمـة انتـوغـرافيـة « متخصصـة في علم السـلالات البشـريـة » وانـتر وبـولوجية « متخصصة في علم

البشريات » في الولايات المتحدة ، وقد نشرت هذه الإجابة في مجلة مستقبل التربية العدد الثالث عام ١٩٧٥ م ، قالت العالمة : « حدث في العالم ثورتان أدتا إلى تغير الوظيفة الرئيسية لكل من الرجل والمرأة تغييراً جذرياً .

١ - الثورة الصناعية :

التي طوحت بالمرأة في عالم حرمت فيه من القلب الحنون ، فلم تجد أبًا أو أخًا أو زوجاً أو قريباً ، يعني بها وبأولادها ، وبذلك نشأ ضرب جديد من الاستقلال .

٢ - الثورة الطبية :

التي كافحت الأمراض الوبائية وخفضت من وفيات الأطفال ومكنت المرأة من تحديد النسل وقللت الإنجاب .

فالمرأة ، إذن قد اضطرت إلى العمل اضطراراً ، وحين كثرت النساء العاملات ، ظن الناس أن هذا هو الوضع الطبيعي ، ولعل هذا هو الذي جعل الأمم المتحدة تقرر اعتبار عام ١٩٧٥ عامًا دوليًّا للمرأة ، وقد دعا مؤتمر المرأة فى عامها الأول الدولى لإشراك النساء إشراكًا كليًّا فى تحقيق الحياة الاقتصادية والسياسيةوالاجتماعية والثقافية ، كما دعا لإسهامهن فى تحقيق التعاون والتفاهم والصداقة بين شعوب الأرض قاطبة ومن هنا نلاحظ أن المرأة نفسها ، قد خدعت بهذه الفكرة وأصبحت تنادى بها على أنها ميزة لها على أن بعض النساء تنبهن إلى خطورة هذه الفكرة ونادين بعودة المرأة إلى وظيفتها الطبيعية .

فالسيدة جان مارتان سيسيه : سفيرة غينيا لدى الأمم المتحدة ، تعرضت لهذا الموضوع فى مجلة مستقبل التربية فقالت : « فى المجتمعات المتمسكة بالتقاليد القديمة ، ينتمى الفرد فيها إلى الجماعة أو العشيرة ، وتتسم تربيتها بطابعها المتميز بالقيام بتربية الطفل وتهذيبه ، وهي أمينة على التراث الموروث . . . وأضافت قائلة « الإنجاب كان مهمة المرأة الأولى وكانت المرأة هى التى تقوم بتربية أولادها ، فهى التى تتولى تشكيل العجينة تاركة للمجتمع القيام بإتمام عجنها وقد تميزت هذه التربية بغرس الشعور بالشرف منذ الصغر وتقوية الرغبة فى الدفاع عن الوطن والركون إلى الأعمال النبيلة ، ثم قالت « والمساواة بين الرجل والمرأة لا وجود لها في تربية الأولاد ، لأن المرأة هي التي تقوم بتربيتهم ذكورًا كانوا أو إناثا ، فهى التى تربى الرجل ، ولذلك وصفت بأنها : المربية الأولى والمعلمة الرائدة .

وحين خرجت المرأة إلى العمل بدأ استهلاكها يزيد وظهر السؤال :

ماذا تستهلك المرأة ؟

وقد أجاب على هذا السؤال السيدة ماري ألتو ، الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو في مجلة مستقبل التربية فقالت : « أصبحت المرأة الحضرية في مجتمع اليوم أساساً للاستزادة من المال والأرباح ، وهدفًا للإغراء والترغيب في الإقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع في الأسواق » .

والواقع أن المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثراً بالدعاية الضخمة المغرية التي يطلقها التجار ترويجاً لبضائعهم وترغيباً في شرائها ، ويلاحظ أن زوجها يتخفف من أعباء التموين المنزلي ومشاكله ليلقيه على عاتقها مستريحاً مطمئناً .

وتستمر ماري ألتو قائلة : « ومن أهم السلع التي تهتم الدعاية التجارية بالترويج لها وإغراء النساء بالإقبال عليها وعلى شرائها ، مواد التجميل وأدواته من الثياب المتطورة والمتغيرة ، تبعاً لتغير الفصول والشهور ، بل والأيام أحياناً ، وهكذا تجد المرأة نفسها عرضة للاستهلاك في ميولها وعواطفها فضلاً عن استغلالها في ميادين الأعمال » .

هل المرأة سعيدة بهذا ؟

تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة : انا رورد في مقالة نشرتها جريدة الاسترون ميل الإنجليزية « لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم ، خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد » ثم هتفت قائلة في حسرة : « ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء ، انه عار على بلاد الإنجليز أن نجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها وحفاظاً على أنوثتها » منار الإسلام عدد ذي القعدة ١٤٠١ هـ .

هموم المرأة العاملة في الغرب

وبعد مضي فترات طويلة من عمل المرأة ، بدأت الصحف تنشر أخباراً عن هموم المرأة العاملة في الغرب .

لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :

هذه صرخة المرأة في المجتمعات الغربية ، كما جاء في الدراسة التي نشرتها صحيفة العرب القطرية في ١١/٦/١٩٨٠ م وقالت : « إن الكونجرس الأمريكي ليس به إلّا ١٧ امرأة وواحدة في مجلس الشيوخ وفي فرنسا ١٨ نائبة من أصل ٤٩١ وفي سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت » .

في أمريكا :

« وفي أمريكا لا تتمتع المرأة في الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية ، وهذا الحكم أطلقته اللجنة الأمريكية ، للحقوق المدنية ، وتؤكد هذه اللجنة أن القوانين السارية في الولايات المتحدة تقنن الظلم الذي تعرض له النساء الأمريكيات عبر إعطائها امتيازات للرجل على المرأة أكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة » .

وقالت الدراسة : « ومنذ نصف قرن لم يبت في مصير التعديل السابع

والعشرين للدستور الذي ينص على المساواة أمام القانون بغض النظر عن الجنس وذلك لأن التعديل يحتاج إلى موافقة ٣٨ ولاية من الولايات الخمسين ، وحتى الآن لم يوافق على هذا التعديل سوى ٣٥ ولاية .

استمرت الدراسات تقول : « كان أجر المرأة في عام ١٩٥٩ هو ٦٣٫٩٪ من أصل أجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل وفي عام ١٩٧٨ انخفض إلى ٥٨٫٩٪ » .

وقالت مجلة بتش : « أن واقع المرأة الأمريكية هو الأجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهني وقلة مؤسسات تربية الأطفال » .

في إيطاليا : تحصل المرأة على أجر يقل عن الرجل بـ ٣٠٪ .

وفي فرنسا : يصل الفرق إلى ٣٣٪ .

وفي اليابان : ٤٠٪ .

وفي سويسرا : نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرًا حول وضع المرأة قالت فيه : « إن ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن - لأسباب مختلفة - من حق التصويت في انتخابات هيئة الإدارة المحلية ، وإن قضية مساواة المرأة بالرجل في سويسرا ما زالت دون حل .

وفي أمريكا : لا تشغل المرأة سوى ٥٪ من الوظائف المنتخبة وبصورة أساسية في هيئات السلطة المحلية ، إذ يبلغ عدد النساء حوالي ٥٩٫٣٪ من السكان ، ٥٣٫٢٪ من الناخبين .

ومن أصل ٥٥٤٧ مقعداً في برلمان السوق المشتركة التسعـة ، يوجد ٣٥٧ نائبة ، أي أقل من ٦٪ من البرلمانيين ، بينما تقترب نسبة النساء في هذه البلدان من ٥٢٪ .

وفي فرنسا : توجد ٤٩١ نائباً - منهم ١٨ امرأة فقط .

والبرلمان الياباني ليس به إلّا ٣٪ من النساء من أعضاء البرلمان .

البطالة :

وتقول الدراسة : إن البطالة تنتشر بين صفوف النساء فى أمريكا أكثر بمرة ونصف من انتشارها فى صفوف الرجال ، وتبلغ نسبة النساء اللواتى يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣٪ من الأمريكيين .

وفى أمريكا : كانت نسبة الفتيات خلال عام ١٩٧٧/٧٦ الدراسي ، من طالبات الطب ٢٥٪ وطالبات الهندسة ٦٪ والحقوق ٢٠٪ والفيزياء ١٪ والعاملات المؤهلات فنيا ٣٪ .

وتقـول مجلة بواس نيـوزانـدد دولـد ريبـورت ، أن ٨٠٪ من الأمـريكيـات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسًا إلى رواتب الرجال .

وفى فرنسا : كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقة فى وجه الفتيات ، ولا يدرس فى المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠ .

وفي معهـد الإلكـترونيـات والأجهـزة الإلكترونية يدرس به ٦٢ طالبة ، من أصل ٢٦٠٠ ونسبة المهندسات ٨ر١ ٪ والطبيبات ٦ ٪ والفنيات ١١ ٪ .

وفي اليابان : لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك من الفتيات عن ١٠ ٪ ممن أنهـين الـدراسـة الثـانـويـة ، أمـا فرص الحصـول على عمـل بعد الـدراســة فهي قليلة ، وفي عام ١٩٧٩ لم يحصـــل على عمـــل سوى ٢٠ ٪ من خريجـات المعـاهـد العليـا والكليـات التي تستمـر مدة الدراسة فيها سنتين وتشكل النساء ٨ ٪ من المدرسين في المعاهد و ١٠ ٪ من الأطباء .

ونسبـة النسـاء التي تتمتـع بعضـوية النقابات الأمريكية في تناقص مستمر ، فقـد كانـت الـنـسـبــة ١٧ ٪ في عام ١٩٥٠ وأصـبحت ٥ر١٢ ٪ في عام ١٩٧٨ والأمـريكيـات غير النقـابيـات محرومـات عملياً من الحماية القانونية ، ومن المعاش التقـاعـدي والإجـازات الثـانـوية والإجازات المرضية المدفوعة الأجر ، وأجور هذه الفئة من الناس تقل بنسبة ٢٥ ٪ عن النساء النقابيات ، مما يزيد من متاعب المرأة العاملة في المجتمعات الغربية ، ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربيـة الأطفـال وعـدم وجـود قوانـين لحماية الأمومة والطفولة أو ضمانات لإجازات الحمـل والـولادة المـدفـوعـة الأجـر ، وفي هذا الصدد ذكرت مجلة « بوليتكل افريز الأمـريكيـة » أن مؤسســات حضـانـة الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية ، لا تتسع لأكثر من مليون طفل ، وهذا رقم متواضع للغاية .

هموم المرأة الأمريكية :

وقد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨٠/٧/١٢ دراسة تحت عنوان « هموم المرأة الأمريكية » قالت فيها : « تقول جلوريا ستاتيم رئيسة تحرير مجلة « مز » « إن هذه القضية أساسية ، لأنها تمس آدمية المرأة ، ولابد أن يتحرر جسد المرأة كأساس للتحرر السياسى وهذه القضايا هى الاعتداء على الفتيات والنساء وضرب الزوجات والاضطهاد بسبب الجنس والعنف داخل العائلة والإجهاد ، ولكن ليس معنى ذلك : أن المرأة الأمريكية تركت جانبًا بقية القضايا وفى مقدمتها : المساواة فى الأجر ، فمن الثابت حسب إحصاءات مكتب العمل : أن المرأة التى تقوم بنفس عمل الرجل تحصل على أجر يوازى ٦٣٪ من أجره .

- فرص التدريب والتقدم المهنى .

- الأمن والأمان فى الوظيفة : فالمرأة نظرًا لحداثة عهدها بالعمل ، هى آخر من يعين وأول من يفصل .

- الاضطهاد بسبب الجنس .

دور الحضانة : فإحصاءات عام ١٩٧٨ تقول « إن ٥،٨ مليون امرأة عاملة أى ٤٤٪ من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الأقل فى سن

ماقبل الدراسة ، وذلك مقابل ٣٠٪ سنة ١٩٧٠ ، وهذا يعنى أنه مطلوب ٥،٨ مليون مكان على الأقل فى دور الحضانة ، بينما المتاح هو مليون فقط .

الأرقام تقول :

والأرقام تقول عن المرأة إنه : من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة ، فإن المرأة لاتحصل على عمل إلا فى ٢٠ نوعًا فقط .

وإن النساء اللاتى يمكن القول بأنهن وصلن إلى مراكز مرموقة لا يزيد عن ٢،٣٪ ، والمعيار هنا هو ألا يقل المرتب عن ١٥ ألف دولار .

والمرأة فى مجموعها لاتحصل على أجر متساو مع الرجل ، وتتحمل أعباء أكثر من طاقتها فهى تعمل فى البيت بالإضافة الى ٨ ساعات عمل يوميا .

قضايا أخرى :

وتستمر الدراسة قائلة : إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن أصبحت تمثل المكان الأول فى قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة ، فضلا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادى من زوجها ، بمعنى أنه بمجرد طلاقها ، تفقد وضعها فى أن يكون لها وضع اقتصادى يسمح لها بأن تبتاع بالتقسيط ، وهى قضية أساسية فى أمريكا ، وبالإضافة إلى أن عمل الزوجة ، وبخاصة فى الريف ، لا يعتبر عملا إنتاجيا اقتصاديا لها إذ يخضع نصيبها فى الميراث لضريبة التركات

بعكس زوجهـا المعـترف بـدوره الإنتـاجي ، فمـيراثـه من زوجة لا يخضـع لضريبة ، والمرأة الأمـريكية بعـد زواجها تـدفع ضرائب دخـل بنسبة أعلى من غير الزوجـة ، ولذلك بدأ عدد من الأزواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الإقرار الضريبي ، ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الإقرار .

المساواة الشكلية أنتجت الجنس الثالث :

في دراسة عن أول حركة انشقاق نسائية ، كشفت تدهور أوضاع المرأة في ظل المسـاواة الشكليـة وكيف ظهـر الجنس الثـالث بعـد تحرير المرأة الروسية ، وقد نقلتهـا صحيفـة الأهـرام القـاهرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/١/٣ عن الأوبزرفر وجـاء في هذه الـدراسـة ما يأتي : « ظهـرت ضمن جماعـات المنشقـين في الاتحـاد السوفييتي مؤخراً حركة نسائية منشقة - بدأت في مدينة لينتجراد - وراحت تنتشر في مختلف أنحاء الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشيوعية .

« لقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفييت التي تصل إلى دول الغرب حتى السنوات الأخيرة لا تشير إلى حقوق المرأة في حد ذاتها وتركز فقط على حقـوق الإنسـان بصفـة عامـة ، وكـان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو كتـاب العـالم السـوفييتي الشهـير « اندريه زخاروف » (الخطر والأمل) الذي لفت الأنظـار إلى الآثـار الخطـيرة التي ينتجهـا النظـام السوفييتي الشمولي على الصحة البدنية والعقلية للنساء وتدهور معدل المواليد في الاتحاد السوفييتي بسبب هذه الآثار » .

« وفي ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٧٩ م وهو يوم الاحتفال بذكرى إعلان حقوق الإنسان ، ظهرت أول نشرة متخصصة في شؤون المرأة تحت عنوان « تاريخ المرأة الروسية » قامت بتحريرها النساء المنشقات وتضمنت مقالات وأبحاثاً وأشعاراً وقضايا تاريخية حول مشكلات المرأة على وجه التخصص ، وكشف النقاب عن الفارق بين صورة المرأة في الأيدلوجية الشيوعية وبين الواقع المرير الذي تحياه النساء في الواقع داخل الاتحاد السوفييتي » .

وقد ذكر في هذه النشرة قصص الإجهاض في مستشفيات الإجهاض التي أطلقوا عليها ، مفارم اللحم ، كما ذكر أيضاً حكايات عن اغتصاب الأزواج المخمورين لزوجاتهم ومعسكرات الاعتقال الصغيرة التي يعيش فيها الأطفال تحت اسم « معسكرات الطلائع » والسجن بتهمة البطالة والطفيلية الذي توضع فيه النساء وغير ذلك من الروايات .

وقد كان لهذه النشرة النسائية تأثير كبير ، ليس داخل روسيا فقط ، وإنما أيضاً في الخارج وبخاصة في أوساط الحركة النسائية في باريس ، حيث ظهرت لها فورا نسخة مترجمة إلى الفرنسية ، واهتمت الصحف النسائية وغير النسائية في فرنسا بكتابات هذه النشرة وأجرت معهن الأحاديث الصحفية المتعددة حول أوضاع النساء في الاتحاد السوفييتي .

وعلى الرغم من التشابه بين مشاكل المرأة الروسية وبين مشاكل النساء في الدول الغربية ، فإن معظم المشاكل التي ذكرتها النشرة كانت روسية بحتة ، وكان

واضحاً أن النساء السوفييت معجبات بالمدى الذي وصلت إليه حركة المرأة الغربية ، ولكنهن لا يشاطرنها نفس الآمال التي زعمن أنها تحققت بفضل الثورة الروسية ، حيث أصبحت المرأة الآن في الاتحاد السوفييتي رائدة فضاء وعاملة في المصانع .

بل على العكس فإن معظم مطالب المرأة الروسية ، كانت تسير في خط معاكس ، فالمساواة التي وعدتهن بها الثورة الروسية ، قد دمرت نمط الحياة النسائية السابقة دون أن يؤدى ذلك إلى إسعاد المرأة الروسية بأي حال من الأحوال ، وكما ذكرت الصحفية المنشقة كبراسا بكير : « لقد كشف الرجل عن أن يكون حامى المرأة ولكنه لم يتحول بعد إلى أن يكون شريكاً يشاطرها كل شيء ، وقد حذرت هذه الصحفية في مقالها نساء الغرب من التطرف في دعوة المساواة التي تدمر قيم الأسرة والأمومة وتطيح بدور المرأة كمصدر للحب والحنان والاستقرار والحركة لا ترفض مبدأ المساواة ولكنها ترفض المساواة الشكلية التي تساوى المرأة بالرجل حتى في الأعمال التي يسعى العلم إلى تخليص الرجال منها » .

مساواة زائفة :

أما تانيا ناحو تشيفا ، وهي فيلسوفة ذات تعليم ماركسي ، فقد أيدت في مقالها كل ما ذكرته زميلتها الصحفية كبراسا بكير وأضافت تقول : « ان نظام

التعليم السوفييتي قائم على أساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوي في حقيقتها على احتقار للأنوثة ، وإن هذا النظام لم يؤد إلى تحرير المرأة وإنما أدى إلى تأنيث الرجال ، بعد أن فقدوا حريتهم وقدرتهم على تحمل المسؤولية » .

قالت تانيا في مقالها : « إن المرأة سواء في الأسرة التي تحللت بسبب إدمان الرجال للخمور وأيضاً في المصانع تشكل قوة العمل الرئيسية ، وإن العمل في البيت والمصنع يثقل كاهلها ويدمر معنوياتها ، وذكرت : « إن الرجل والمرأة على السواء قد تحولا في المجتمع السوفييتي إلى جنس ثالث هو جنس سوفييتي محض لا مثيل له في أي مجتمع آخر » .

وبالطبع قامت المخابرات السوفييتية بتهديد وابتزاز كاتبات هذه النشرة ، كما قامت باعتقال بعض مؤسسات الحركة النسائية المنشقة الجديدة مثل ناتانيا مابونافا ، وهي شاعرة وفنانة ، تم نفيها مؤخراً خارج الاتحاد السوفييتي ، وذهبت للعيش في باريس ومثل الكاتبة بليا فوز نيسيكابا التي تمضي حالياً حكماً بالسجن مدة خمس سنوات في إحدى معسكرات الاعتقال الروسية .

ومع ذلك : فقد استمرت الحركة النسائية منذ عام ١٩٧٩ م ، وواصلت عملها حيث تقوم النساء حاليا بإعداد النشرات والمقالات ضد الغزو السوفييتي لأفغانستان وأخيراً ضد التهديد السوفييتي لبولندا .

وقد أطلق هؤلاء النساء « نادي مريم » على جماعتهن واختاروا كلمة نادي ، بالذات حتى يتجنبن مطاردة الشرطة الروسية إذا هن أطلقن على أنفسهن

اسم جماعة أو جمعية أو اتحاد ، كما نسبن أنفسهن إلى مريم العذراء ، كمثل أعلى لهن ، وهو مثل أعلى ديني ويعتبر ظهوره في دولة مثل الاتحاد السوفييتي ، تطارد الأديان أكثر من ستين عاماً منذ قيام الثورة الشيوعية أمراً خطير الدلالة .

المرأة الغربية تشكو من الوظيفة

لقد خرجت المرأة إلى العمل لتؤكد شخصيتها وتثبت ذاتها أو هكذا يقال دائماً عند الكلام على وظيفة المرأة وخروجها إلى العمل ، وقد سبقنا الغرب إلى إخراج المرأة إلى العمل ، كما سبقنا إلى جني الثمار المختلفة التي ترتبت على ذلك من إهمال للبيت والأطفال وتغيير الوظائف المختلفة لكل من الرجل والمرأة ، لقد تحملت المرأة أعباء جديدة ولم ينقص عنها شيء من أعمالها الأساسية .

وبدأت المرأة العربية تشكو من الوظيفة التي طالما تمنتها وظنت أنها الأمل المنشود .

إعلان النفير العام :

الأستاذ الدكتور كيلين رئيس أطباء المستشفى الحكومي للنساء في مدينة لادون كسبفر أعلن النفير العام للأطباء لإنقاذ النساء العاملات في مؤتمر للأطباء هناك ، وقد نشرته مجلة ده كستل بل كلان ونغ ، الصادرة في مدينة وسلدرن في عددها الصادر في شهر أغسطس سنة ١٩٦٢ م وترجمه السيد : ر ـ سعيد ـ أحد

الطلاب السوريين في جامعات ألمانيا ونقله الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) وقد جاء في هذا المقال ما يأتي :

إن ٣٠٪ من النساء في مجتمعنا لسن سعيدات في حياتهن ، والسبب في ذلك المتطلبات الجسمية والروحية المتصاعدة ، وعلى هذا فإني أعلن النفير العام لعلم الطب ، إن الواجب على المجلس البلدي أن ينظر إلى هذه الناحية التي تحل بكثير من نسائنا العاملات بعين الجد والاعتبار . . إن هذا الخطر يهدد كثيرين منا ، لأن هذا معناه انهيار عظيم وخسارة مزدوجة لملايين من البشر .

المساعدة غير ممكنة ـ لماذا ؟

« أرجو أن تساعدني يا دكتور ـ أنني لم أعد أتحمل هذا الألم المستمر ـ أرجوك مساعدتي اني أنازع » .

هذا ما يردد يومياً في عيادة أطباء النساء . ولكن هؤلاء الرجال المرتدين للكساء الأبيض يقفون مكتوفي الأيدي أمام متطلبات النساء الكثيرات اللائي يملأن العيادة نحو الممشى ، لأن أي طبيب لا يمكنه مساعدة هؤلاء المساكين الذين يعانون عبئًا مزدوجًا ، لا بل مقلقا ـ الوظيفة ـ المال ـ البيت ـ متطلبات الحياة العائلية ـ هذا العبء غير الاعتيادي والضغط العصبي الناتج عن التحمل الجسمي والروحي .

يقـول طبيب : « إن عيـادتي هي الـبرهـان الـوحيـد ، وهي الشـاهد ضد الزمن ، إن حالة النساء في خطر عام ، خذ مثلاً المرأة التي أتت البارحة إحدى العـامـلات النشيطـات في معـامل النسيج والخياطة الضخمة ، إنها لم تكن مريضة إلى الآن والآن تأتي تحت عامل انهيار عصبي تام - ففجأة مثلاً - بينما هي تخيط تدخل إبرة الماكينة في أصبعها وفي حالة أخرى تنهار على الماكينة والإبرة في أصبعها وفي حالة ثالثة تنهار على الماكينة ، لكنها في حالة إغماء » .

المسؤولون عن العمل يدعون هذه الحالة : حالة إصابة في العمل ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إن هذه المرأة لا تدري ماذا تفعل ؟

إن هذه الحالة لا تدعو إلى الاستغراب ، لأن هذه المرأة منذ سنوات عديدة تستيقظ يوميا منذ الساعة الخامسة لتهيىء أعمال المنزل وتعد أطفالها إلى المدرسة ، ومن ثم تذهب إلى العمل لتجلس أمام ماكينتها ثماني ساعات ونصف ساعة ، إلى جانب ساعة ونصف تحتاج إليها للذهاب والإياب إلى المصنع ، وإذا وصلت إلى البيت وصلت متهالكة ، وهنا يبدأ العبء الثالث لها ، ألا وهو العمل المنزلي الذي لم ولن تنج منه بتاتاً .

السبب هو الأعصاب :

ويستمـر الـدكتـور كلن قائـلاً : إن في الجمهـورية الاتحادية الألمانية اليوم ، حوالي سبعة ملايين من النساء العاملات ، وهذا أكثر من ثلث المجموع من عدد

العمال ، إن أكثر من ثلث النساء متزوجات ومعظمهن عندهن طفل أو أكثر من الذين لا يزالون في سن الطفولة تحت سن السابعة ، وهؤلاء الأطفال بحاجة ماسة إلى عناية الأم ، إن هذا العبء المسلط على تلك النساء هو السبب الوحيد الذي يؤدي إلى تدهور حالتهن الصحية التي بدورها تؤدي إلى تدهور الطفولة ومن ثم المجتمع العام .

ومن المعروف أن البناء الجسمي والروحي لدى النساء يختلف اختلافاً كبيراً عن تركيب بنية الرجال القاسية المتينة . إنه ليس داعياً إلى العجب : أن تعطينا الإحصاءات الطبية الصحيحة في المجتمع الألماني في أن كل امرأة تأتي تعاني مرضاً في القلب وفي جهاز الدورة الدموي .

إن التقارير الطبية ترد هذا إلى التعب غير الطبيعي ، إن نسبة وجع الرأس الدائم عند العاملات هو أكبر سبع مرات من تلك اللاتي في البيت بدون عمل ، والمرض الجنسي من موت الجنين أو الولادة قبل الأوان هو عند العاملات بشكل مرعب لا يمكن تصوره ، إن العامل الرئيسي ليس هو كما يتخيل ، إنه الوقوف الدائم أو الجلوس المنحني أمام منضدة العمل أو الحمل الثقيل غير الاعتيادي ، لا بل هناك العامل النفسي الذي هو الأساس ، ومن المعروف اليوم أن التشويه الجسمي عند النساء مثل تضخم الرجلين أو تضخم البطن يعود إلى الحالات النفسية التي تقاد من الدماغ ومركزها في النخاع الشوكي الذي قد يؤدي إلى الشلل أو العاهة الجسمية .

لماذا تعمل النساء ؟

ويستمر الدكتور : « كلن » في الحديث فيقول : والآن يفتح الستار أمام السؤال لماذا تعمل النساء ؟ إذا كان المصير هو المصير الفاجع ؟ أليست الصحة فوق كل شيء ؟ والجواب على ذلك :

« إن السبب ليس فقط الرفاهية في الحياة - سيارة - براد - تلفاز - بل إن الإحصاءات أظهرت : أن الطمع المادي والطمع في زيادة المال هو الذي يؤدي إلى الحياة المرة ، فكثير من نسائنا لسن بحاجة إلى العمل لأنهن يملكن جميع رفاهيات الحياة ، ومع هذا يسرن يومياً كالدواب إلى العمل .

ومع كل هذا - فالتحمل الجسمي والنفسي ليس هو الوحيد الذي يجعل امرأتنا ، غير شهية ، لأنهن كنساء يشعرن بعدم الرضاء الجنسي ، بل هو ذلك الشعور الذي يخامرهن ، ألا وهو التقدم في السن الذي يعزلهن عن الإناث الشابات اللائي يزاحمنهن في حياتهن الاجتماعية واللاتي يرمينهن في زاوية المهملات ، إنه أكبر سبب للطلاق وتدهور الحياة الزوجية من أي سبب آخر .

وعلى هذا فإن ملايين النساء يرين أنفسهن مقبوضا عليهن في حلقة الشيطان وبطاقتهن الخاصة لا يمكن التخلص منها أن مساعدتهن واجب على كل من يستطيع وأن رفع الرواتب هو سياسة غير ناجحة في هذه الحالة ، إنه صحة وسعادة الملايين من البشر .

المرأة والمهدئات :

وقد أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية : أن دخول المرأة إلى ميدان العمل كان له تأثير كبير على توازنها النفسي ، فالملاحظ أن نسبة كبيرة من النساء العاملات يعانين من التوتر والقلق الناتج عن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهن والموزعة ما بين المنزل والزوج والأولاد والعمل ، فقد سجلت الإحصاءات الأخيرة أن ٧٦٪ من نسبة الأدوية المهدئة تصرف للنساء العاملات ، كما كان من نتيجة هذا المؤتمر ارتفاع نسبة تدخين السجائر بين النساء العاملات التي فاقت في الولايات المتحدة الأمريكية نسبة الرجال . « الأهرام القاهرية ١٥/١١/١٩٨١ م » .

المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة :

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في ٣/٤/١٩٨٢ م أحدث دراسة للجهاز المركزي للتنظيم والإدارة تحت عنوان : « المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة » قالت فيه :

يقول الدكتور حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة : إن هناك انتقادات وملاحظات على كفاءة وتشغيل المرأة ، فقد دخلت الأعمال المتوفرة في سوق العمل بغض النظر عن مدى ملاءمتها واستعدادها وقدرتها على العمل ،

وقد أثر هذا على الكفاءة المنتظرة منها ، فخروج المرأة للعمل بهذا الشكل لم يصاحبه الاهتمام بتوفير مجموعة من الخدمات الأساسية اللازمة لرعايتها ومساعدتها على التوفيق بين عملها ومسؤولياتها الأساسية .

هناك ملاحظات على تشغيل المرأة وهناك سلبيات ، ومن واقع خبرة التطبيق في العمل الحكومي والقطاع العام يقدم الدكتور حسن توفيق أهم الملاحظات والسلبيات التي تؤثر في كفاءة تشغيل المرأة وتجعلها تدفع ثمن الوظيفة .

أولى هذه الملاحظات : أن دخول المرأة بعض الأعمال التي لا تتلاءم مع طبيعتها واستعدادها وقدرتها جعل كفاءتها الإنتاجية في أداء العمل محدودة .

ويرى الخبراء أن طبيعة ومسؤوليات المرأة كزوجة وأم ، أثرت على كفاءتها وانتظامها في العمل وعلى درجة تفرغها ذهنياً ومعنوياً لمتابعة عملها ، حتى إن وحدات العمل تشكو من تغيب المرأة وكثرة الإجازات الممنوحة لها ، كما أن هناك صعوبة تواجه المرأة التي تصل إلى المناصب القيادية ، فالرجل لا يتقبل رئاسة المرأة للعمل فضلاً عن عدم نجاح المرأة بالدرجة المرجوة في المنصب الرئاسي .

وفي أحدث دراسة قام بها الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة عن حجم العمالة بالنسبة للمرأة في القطاع الحكومي والقطاع العام ، اتضح أن إجمالي عدد العاملين بالقطاع الحكومي حتى أول يناير سنة ١٩٨٠ م بلغ مليونين و ١٣٤ ألفا ، منهم

أكثر من ٢٦٠ الف عاملة بنسبة ١٧٪ تقريباً من عدد العاملين أما في القطاع العام فقد ثبت أن إجمالي عدد العاملين بلغ مليونا و ١٩٩ ألف عامل ، منهم ١١٥ ألف و ٥٢٦ عاملة بنسبة ٦ر٦٠٪ .

وأوضحت الدراسة أن إجمالي عدد العاملين من النساء بالقطاع الحكومي قد زاد في أول يناير سنة ١٩٨٠ بمقدار ٥٤ر٧٦٪ عما كان عليه الحال منذ عشرين عامًا ، أي أن نسبة زيادة المرأة العاملة في القطاع العام والحكومي بلغت ٨٠٪ تقريباً .

كما أوضحت الدراسة أن نسبة إجمالي المرأة العاملة التي تشغل الوظائف العليا في أول يناير سنة ١٩٧٨ م قد ارتفعت بما يزيد عشرين مرة عما كان عليه الحال في شهر يناير سنة ١٩٦٨ م ، ويوجد سيدتان تشغلان منصب وكيل أول وزارة و ١١ يشغلن وظيفة وكيل وزارة ، بينما يوجد ٦٨ موظفة بدرجة مدير عام وذلك في أول يناير ١٩٨٠ م .

حل المعادلة الصعبة للمرأة العاملة :

يرى رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة أنه يجب توفير مجموعة من الخدمات الأساسية لرعاية المرأة العاملة ولتمكينها من التوفيق بين مسؤولياتها تجاه العمل ومسؤولياتها تجاه الأسرة وينمي من ولائها لجهة عملها ويرفع من روحها المعنوية ، وبالتالي يؤدي إلى زيادة كفاءتها الإنتاجية كالتوسع في توفير دور الحضانة

بوحدات العمل وتوفير المواصلات لنقل العاملات وتوفير الخدمات التي تتيح للمرأة العاملة القيام بواجباتها الأسرية في وقت وجهد أقل .

الطبيعة النفسية للمرأة :

وعن الطبيعة السيكلوجية للمرأة ، يقول الدكتور محمود فؤاد ، أستاذ إدارة الأعمال والعلوم السلوكية بجامعة القاهرة ومستشار رئيس الجهاز : « إن المرأة تتميز بأنها أكثر حساسية من الرجل ، لذلك لا يمكن للمديرين انتقادها دون مراعاة مشاعرها ، فهي أكثر قابلية من الرجل لأن تأخذ النقد الموضوعي للعمل على أنه موجه لشخصها ، وهي أكثر عاطفية ، ومع مسؤولياتها المزدوجة في المنزل والعمل ، فإنها تكون أكثر قلقاً وتوتراً » .

ومن هنا فإن المرأة تدفع ثمناً باهظاً ، لكي تلائم بين عملها وأعبائها المنزلية كزوجة وربة بيت .

نادي الصـــداع :

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨٢/٤/٣٠ م ، كلمة عن نادي الصداع وقالت : « قد تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل ، وغالباً فإن ضغوط المرأة تختلف عن ضغوط الرجل ، ولكن المهم في متاعب الصداع أنه لعبة المرأة » .

هكذا يقول الدكتور اندريه براوالييه - أستاذ الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة باريس وهو متخصص في أمراض الحساسية ورئيس نادي الصداع بباريس الذي يضم النسبة الكبرى من أعضائه من النساء ، ويعتبر الصداع من أمراض الحساسية .

وإذا كان للصداع خمسة أنواع ، فإن المرأة تتفوق على الرجل في الإصابة بأكثر من أربعة أنواع منه ، ولعل صداع الميجرين هو أكثر أنواع الصداع انتشاراً ، يليه الصداع العصبي والنفسي .

والمرأة تملك العديد من الأسباب لجعل الصداع رفيقاً لها ، وما من امرأة إلاّ وحملت في حقيبة يدها المسكنات والعطر والمناديل كأسلحة للصداع والدموع والجاذبية .

وللصداع مواعيد ، فهناك صداع الفجر والصباح والظهيرة وصداع المساء والليل وصداع ما بعد منتصف الليل وصداع الفجر وسببه ضغط الدم العالي وصداع الصباح المبكر هو الميجرين وصداع الظهيرة هو الصداع بسبب الجيوب الأنفية وصداع ما بعد الظهيرة هو الصداع النفسي .

ومن أسباب الصداع الضوضاء والتلوث والضغوط النفسية والعصبية والعمل والزحام والظلم والاضطهاد وصداع الميجرين من بعض أسبابه القرف والملل والإحباط النفسي وهو أسوأ أنواع الصداع وأكثرها إيلاما وينصح الدكتور

برادلين مرضى الميجرين عند ما تصيبهم النوبة : أن يلجأوا إلى حجرة مظلمة فيها الهدوء والسكينة دون أن يتعرضوا لأية مضايقات .

مرض الطفل المضروب :

المرأة العاملة مرهقة في العمل ولذلك فإنها لا تستطيع أن تتحمل أبناءها ، فتلجأ إلى ضربهم ضرباً قد يكون مبرحاً ، ويتكرر الضرب مع الأطفال ، وينشأ عن ذلك مرض اسمه « مرض الطفل المضروب » وقد نشر الدكتور محمد علي الباز كلمة عن موضوع المرأة الأوربية اليوم ، في مجلة الأمان اللبنانية في العدد الصادر بتاريخ ٢١ من كانون الأول سنة ١٩٧٩ م جاء فيه : « مجلة هيكساجن الطبية نشرت في عددها الخامس لسنة ١٩٧٨ م إنه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أوربا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضرباً مبرحاً من أمهاتهم .

وفي عام ١٩٦٧ م دخل المستشفيات البريطانية أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضرباً مبرحاً أدى إلى وفاة ما يقرب من ٢٠٪ منهم ، وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة ، وقد أصيب مئات منهم بالعمى ، كما أصيب مئات آخرون بالصمم ، وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد والشلل نتيجة للضرب المبرح .

ويتساءل الدكتور إيلي رئيس أقسام الأطفال في مستشفيات بريستول المتحدة

في مدينة برستول بريطانيا « هل هؤلاء الأمهات وحوش » وينتهي في مقاله إلى أن هؤلاء الأمهات يواجهن أزمات نفسية خطيرة أدت بهن إلى ضرب أطفالهن ضرباً مميتاً أو مؤدياً إلى عاهات مستديمة ، ثم يقول : « إن أغلب هؤلاء الأمهات لسن مجرمات بطبيعتهن ، ولكن وجود الأم بدون زوج واضطرارها إلى العمل والخروج ثم عودتها مرهقة إلى المنزل لتواجه الطفل الذي لا يكف عن الصراخ يفقدها اتزانها وعواطفها .

وقد لوحظ أن هؤلاء الأمهات يكرهن أولادهن كرهاً شديداً حيث ينغص هؤلاء الأطفال على أمهاتهن حياتهن ، وقد نشرت الصحف في العام الماضي قصة الشاب والشابة اللذين قاما ببيع أطفالهما في أمريكا بمائة دولار ، كما أن كثيراً من الأمهات يقمن بسم أطفالهن بإعطائهم السموم والعقاقير الخطيرة .

أطفال للبيـــــــع

ونتج عن خروج المرأة للعمل واضطراب أعصابها من الإرهاق ومحاولة العيش في مستوى خاص ، نشأ عن ذلك كله انحراف في الفطرة أدى إلى أن تستغنى الأسر عن أبنائها أو عن بعضهم عن طريق البيع لأفراد أو لمؤسسات تكونت لهذا الغرض .

وقد نشرت مجلة العهد القطرية الصادرة في أول ديسمبر ١٩٨١ م دراسة حول هذا الموضوع جاء فيه : « في أمريكا الجنوبية عشرات من مكاتب التبني

مفتوحة لاستقبال الأطفال اليتامى أو المرفوضين من آبائهم وأمهاتهم ، ثم تذكر أمثلة مما تقوم به هذه المكاتب .

- إحدى ممرضات مستشفى للولادة في كولومبيا تقول : إن الأطفال الذين يولدون أصحاء يسأل أهليهم بوساطة شبكات تهريب الأطفال إذا كانوا يودون بيع أطفالهم فيرتاحون من تنشئتهم وتربيتهم .

- في البرازيل تألفت لجنة من الكونجرس البرازيلي لدراسة هذه المشكلة ، فوجدت اللجنة أن ثلاثة ملايين طفل برازيلي يعيشون في الملاجئ ودور الأيتام ، دون وجود آباء وأمهات يلجؤون إليهم ، وهؤلاء عرضة للانتقال إلى أوربا أو أمريكا للعيش مع آباء وأمهات جدد ، ووجدت اللجنة أن كثيراً من الأمهات الفقيرات يعطين أبناءهن لدور التبني طوعاً ، وغالباً ما ينتهي هؤلاء الصغار إلى مجتمعات أوربية أو كندية أو أمريكية .

- أحد قضاة أمريكا اللاتينية علق على هذه المشكلة قائلاً : هل من المعقول أن ينتهي مئات ومئات من الأطفال إلى عائلات ويعيشون سعداء أم أنهم يباعون للمختبرات العلمية والطبية وتجرى عليهم التجارب ؟ القضية لا تزال غامضة .

- التاجرة بلمر تعيش في البرازيل وتحمل جنسيتين برازيلية وأمريكية وتحتضن مئات من الأطفال الفقراء الذين سلمتهم أمهاتهم طوعاً حسب قولها ، تقوم بلمر بتلقي طلبات التبني وتعمل الأوراق الرسمية اللازمة للطفل للسفر مع

عائلته الجديدة ، فتتقاضى بلمر ستة آلاف دولار ويضاف إلى هذا المبلغ أتعابها في التربية والرضاعة لمدة ستة أشهر ، والسلطات البرازيلية اتهمت هذه السيدة بأنها تتاجر بالعرق الإنساني ، وقامت بمنع عدد من الأطفال البرازيليين مباعين لآباء أمـريكيـين من مغـادرة البـلاد ، لأن بلمـر في نظر السلطات البرازيلية مثيرة وتجني أرباحاً طائلة من تجارتها باللحم الآدمي .

وهكذا أصبح الإنسان سلعة تباع وتشتري تحت شعار آخر .

واختاروا السيـــارة :

خرجت المرأة إلى ميدان العمل لترفع مستوى الأسرة الاقتصادي ، ولكن المستوى الذي يريدون رفعه لا يقف عند حد . . والناس يريدون أن يعيشوا عيشة الرفاهية الكاملة ويتفاخرون في هذه النواحي وأصبحوا في سباق دائم .

ولقد كان العرب في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر وقد نهاهم القرآن عن هذه الفعلة الشنيعــة وبـين لهم أن الـذي خلقهم تكفـل برزقهم ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾ الإسراء ٣١ .

ولكنهم في العصر الحديث يقتلون أولادهم بأسلوب العصر ، لا خشية الفقر ولكن لأنهم يريـدون أن تعيش الأسـرة في مستـوى معـين وضعتـه لنفسهـا ، فقـد أصبحت المرأة الغربية تبيح لنفسها أن تجهض الجنين قبل تكامل نموه ، وبذلك

تؤثر التخفف من الكلفة على القيمة الإنسانية وهي رعاية الولد الذي يولد حتى ينشغل بأمر نفسه في الحياة وهذه هي الوظيفة الأولى للأسرة الإنسانية .

وقد تلجأ الأسرة الغربية إلى ترك ابنها للتبني من غيرها بعد ولادتها ، وهو لون جديد من قتل الجاهلية يتفق وأسلوب العصر الحديث .

وتنقل صحيفة أسبوعية كبرى في لندن قصة رجل وزوجته ، كان عليهما أن يختارا بين طفلهما المولود حديثاً في المستشفى وبين سيارة كلفتهما ثلاثة آلاف وأربعمائة من الجنيهات الإسترلينية ، إذ أنهما لا يمكنهما الاحتفاظ بالاثنين معاً واختاروا السيارة .

والزوج يبلغ من العمر ٢٧ عاماً ويحكي سبب ذلك فيقول : « نحن لدينا صعوبات مالية ، وقد تحدثنا عن حلول كثيرة واستقرّ بنا الأمر على أن نترك البنت في المستشفى بعد ولادتها للتبني إنه إذا لم نسلمها للتبني فإنه يتعين علينا أن نبيع السيارة وأسرتنا الآن تتكون مني ومن زوجتي ومن أولاد ثلاثة ، يبلغون على التوالي الخامسة والرابعة والثانية ، ثم يستطرد في تبرير تصرفه فيقول :

« بعض الناس يهملون أولادهم ، ولا نريد ذلك لأولادنا ، كما أننا لا نستطيع أن نعطي الطفل الجديد كل ما يجب أن يكون لدينا زيادة عن الثلاثة الذين يعيشون معنا . . هذه الطفلة المولودة حديثاً يمكن أن تجد عند غيرنا ما هو أفضل مما عندنا » .

والزوجة تقول في تبرير تصرفها بالاشتراك مع زوجها : « إنني أعتقد أن ما فعلته كان هو الصواب ، وأنا قدمت الآن من المستشفى إلى المنزل وتركت طفلتي هناك ، وبالصدفة ألقيت عليها نظرة وهي بنت صغيرة ومحبوبة ولكن لا أرغب في أن أراها ثانية ، وما أفكر فيه هو أن تكون سعيدة في أسرة أخرى ، والزوج يقول : « أنا أعلم أن بعض الناس يتصورون أني أفكر في نفسي فقط ، ولكن بعد ما قصصت قصتي على مجموعة من العاملين معي أبدوا تفهما للوضع .

وهكذا اختار الوالدان السيارة وتركا البنت لمن يريد أن يتبناها ، لأن الأسرة لا تريد أن تعيش في مستوى أقل مما وضعته لنفسها ، حتى ولو كان هذا المستوى هو السيارة التي تعد من الكماليات ، على الأقل إذا ما قيست بالأبناء الذين هم أعز شيء في هذه الحياة ، بالنسبة للإنسان في جميع العصور ، اللهم إلا عند المنحرفين عن الفطرة وفي التفكير وفي العاطفة .

لماذا يحبون الكلاب ؟

ولقد كان من أثر تفكك الأسرة في الغرب أن بحث الناس عن المودة والرحمة بين الأسر فلم يجدوها ، فاستعاضوا عنها بغير بني الإنسان كي يعوضوا هذه الناحية ، وهيهات أن يكون ذلك سليما فقد جاء في تقرير نفسي : « إن هناك سبعة ملايين من الكلاب في فرنسا التي يبلغ سكانها ٥٢ مليون نسمة تعيش مع أصحابها من أقاربهم ، ولم يعد غريباً في مطاعم باريس أن يشاهد الكلب وصاحبه

يتنـاولان الطعـام على مائـدة واحـدة . . وحـين سئل أحد الأطباء في جمعية رعاية الحيوان بباريس : لماذا يعامل الفرنسيون كلابهم مثلما يعاملون به أنفسهم ؟

أجـــاب : « لأنهم لا يعثرون على من يحبون » .

المرأة الاقتصاديـــة :

ويأتي سؤال : ما تأثير عمل المرأة على النواحي الاقتصادية للدولة ؟

ويجيب على هذا الســؤال الأستـاذ جيـوم فير يـرو في المجلد الأول من مجلة المجـلات قائـلاً : « إن اشتغـال المـرأة يؤثـر على الحيـاة الاقتصادية تأثيراً سيئاً ، باعتبار أن اشتغالها فيه مزاحمة للرجل في ميدان نشاطه الطبيعي مما يؤدي إلى نشر البطالة في صفوف الرجال ، كما وقع في بلادنا ، فمنذ أخذت المرأة طريقها إلى وظائف الدولة ، أصبح عدد كبير من حملة الشهادات الثانوية والعليا عاطلين عن العمـل يملؤ ون المقـاهي ويقـرعـون أبـواب الحكـومـة طلباً للوظائف ، بينما تحتل أماكنهم فتيات لا يحملن غالباً مثل مؤهلاتهم وكفاءاتهم .

وما يقوله الأستاذ جيوم ينطبق على كل الدول التي أخذت بمبدأ ضرورة العمل للمرأة ، فأصبحت تعاني من البطالة في صفوف الرجال والمشاكل المتنوعة التي تترتب على هذه الناحية .

والموضوع يحتاج إلى دراسة متأنية واعية وتوصيات مبنية على أساس هذه الـدراسـات تقـدم إلى المـرأة والـرجـل على الســواء وتقـدم إلى الحكومات وأهل

الفكر ، علهم يبدؤ ون في إعادة النظر في توظيف المرأة الذي أصبح في كثير من الدول من المسلمات وأصبحت المرأة نفسها تطالب به على أنه حق من حقوقها ، مع أنها أول من يدفع الثمن ، ثمن الخروج عن وظيفتها الطبيعية في هذه الحياة .

ولعـل هذا هو الـذي جعـل الكسيس كاريـل يقـول في كتابه الإنسان ذلك المجهول : « إنه حتى هذه الأيام لم يتضح فكر الإنسان ولم يشعر على الوجه التام بها لوظيفـة الـولادة من الأهميـة في حيـاة المـرأة ، إن قيـام المـرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمالها القياسي ، وما انحراف النساء عن الولادة ورعاية الطفل إلّا حماقة لا يقدم عليها عاقل.

وعلى نهجه سار الدكتور فيكتور بو جو مولز في كتابه من الجلد إلى الذهن وترجم بعنوان « عش طول حياتك شاباً » .

إن إنجاب الأطفال شيء مهم جدًا فى حياة المرأة من كل ناحية ، ولم يقرر أحد من المختصين أن تعـب البنية من كثرة الأولاد قاصر عليها ، إن من المؤكد أن عملية الحمل والولادة عامل حيوى جدا فى نشاط بنية المرأة ، ولست أميل إلى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير حياتها بإفراطها فى إنجاب الذرية ، فكلنا نعرف نساء أنجبن كثيرًا من الأولاد وعمّرْن .

متاعب حواء العربية :

تحقيق صحفى قامت به السيـدة سعـاد حلمى المحـررة بمجلة حواء التى

تصـــدر بالقـــاهـرة وقـد نشـر فى عدد ١٢/١٢/١٩٧٠ تحت عنـوان : « الإرهـاق العصبي يهدد المرأة » .

وقد جاء فيه : نحن نساء هذا العصر كثيراً ما نلمح في عيون نساء الجيل المـاضي من الأمهـات والجـدات نظـرات الدهشة والاستنكار وهن يتابعن تصرفاتنا خلال الحياة اليومية العادية وكثيراً ما نسمعهن يرددن : « لماذا هذا الإرهاق ولماذا هذه العصبية ؟ » .

وأصبـح من العـادة أن نسمـع : « أنـا لا أحتمـل الضجيـج ولا الأولاد ولا التعليقـات ، أنني أشعـر دائـماً بالـرغبـة في البكاء وأحياناً بالصراخ ، وأحياناً كثيرة أعاني من الصداع الذي لا تجدى المسكنات معه نفعًا ، وفي نفس الوقت أشعر باضطراب في خفقات قلبي ، لم أعد أرغب في شيء ، أتمنى الهدوء والصمت والوحدة » .

الاكتئاب النفســـي :

وفي مجلة حواء أيضـــاً بعـــددهـا الصـادر في ٢٣/٤/١٩٧٢ م مقـال كتبتـه الصحفية سهير الكيال تحت عنوان « الاكتئاب النفسي » جاء فيه :

« هذه الحقيقة التي وصل إليها آخر إحصاء قام به معهد الصحة النفسية ، وأعراض هذا الاكتئاب النفسي : الأرق والاضطراب والانفعال المستمر ، وأدى ذلك إلى أن أصبحت الحبوب المنومة والمهدئة جنباً إلى جنب مع أدوات الزينة في

حقـائب هؤلاء السيـدات ، وتشكـو كل منهن باستمـرار من الإرهـاق البـدني والـذهني ، وقـد أثـر هذا في حيـاتهن بشكـل ملحـوظ ، وتقول الكثيرات : « إن حياتهن الزوجية أصبحت لا تطاق ، والكلمة التي تواجه بها الزوجة زوجها بعد العودة من العمل هي دائماً لا تتغير : « اتركني فأنا مرهقة » وحتى في علاقتها مع أولادها فإن الانفعال والقسوة وارتفاع الصوت هي الصفات السائدة » .

أمراض القلب :

والصحفية المحررة مرفت عثمان قالت فى صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصـادر فى ١٩٧٨/٩/٢٢ « أصبحت نسبة عدد النسـاء المهـددات بالإصـابـة بأمراض القلب تزداد يومًا بعد يوم ، هذا ما يصرح به أخصائيو أمراض القلب فى العالم ، فبعد أن كانت من الأمراض التى يتعرض لهاالرجال بنسبةأكبر ، أصبح اليوم يتعرض لها الجنسان بنفس النسبة ، فما الأسباب التى أدت إلى ذلك ؟

أمـراض شرايـين القلب : كانت الإصـابـة بهذا المـرض من النسـاء ضئيلة جدا ، وتحـدث بعـد سن اليأس ، ولكن لوحـظ فى السنـوات الأخيرة ازدياد نسبة الإصابة للمرأة العاملة بهذه الحالات وذلك لتعرضهن لنفس الانفعالات والظروف التى يتعرض لها الرجال .

ويؤيد هذا كله الفيلسوف الغربى جول سيمون الذى يقول : « يجب أن تبقى المـرأة امـرأة فإنهـا بهذه الصفـة تستطيـع أن تجد سعـادتها وأن تهبها لسواها ،

فلنصلح حال النســاء ، ولكن لا نغــيرهــا ولنحــذرهن من قلبهن رجالاً ، لأنهن بذلك ، يفقــدن خيرًا كثيرًا ونفقد نحن كل شىء ، فإن الطبيعة قد أتقنت كل ما صنعته ، فلندرسها ولنسع فى تحسينها ولنحسن كل ما يبعد عن قوانينها وأمثلتها »

ازدياد معدل الجريمة :

حين خرجت المرأة إلى العمل مع الرجل فى ميدانه ،فإن المشكلات التى كانت خاصة بالرجل لم تلبث المرأة أن دخلت فيها وسارت فى تيارها حتى تسبق الرجل وهى التى كانت فى أمن واطمئنان وراحة بال ، ويوضح التقرير الذى خرج عام ١٩٧٧ من مكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية ، والذى يشير إلى أن معدل الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعًا مذهلا مع نمو حركات التحرر النسائية وقال التقرير : « إن الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٥٢٪ ، وهذا علاوة على أن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم في القائمة الأخيرة التي نشرها مكتب التحقيقات الفيدرالي كلهم من السيدات ، ومن بينهن شخصيات ثوريــة اشــتركت في حركــة التحــرير النسائية مثل « جين البرت وبرناردين دورن » ووراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين السيدات بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول » « إن منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل ، بل إن المرأة التى تتحرر تصبح أكثر ميلا لارتكاب الجريمة .

ويؤكد بعض العاملين فى مجال ارتكاب الجريمة : أن ارتفاع نسبة البطالة بين السيدات بعد خروجهن من وظائفهن بسبب التضخم هو السبب الرئيسى وراء ارتكاب المرأة للجريمة .

ويضيف هؤلاء : أنه مع استمرار البطالة وإدمان المخدرات وتدهور الموقف الاقتصادى وانتشار الفقر ، فإن معدلات الجريمة ستستمر فى الارتفاع بين السيدات والرجال على السواء فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتقول الدكتورة ابدابلين : إن سبب الازمات العائلية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق .

ثم قالت : إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى البيت هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذى يسير فيه .

انتهاء الوظيفة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وعند انتهاء وظيفة كل من الرجل والمرأة ، تحدث فى الجسم تغيرات هرمونية ، ويظهر التحول عند الرجل بعد الإحالة الى المعاش بقليل ، كما أن هذا التحول يحدث عند المرأة عندما تتوقف عن القيام بدور « الإنجاب » ، وهذا يستدعى إعادة التكيف الاجتماعى

والانفعالى لدى كل من الرجل والمرأة لإمكان قيامهما بأدوار جديدة والعمل من أجل أهداف جديدة وإشباع حاجات جديدة ومعنى هذا أن الطبيعة قد حددت وظيفة كل من الرجل والمرأة ، لأن كلاً منهما نوع وإن كانا من جنس واحد .

فوظيفة الرجل : العمل لكسب العيش والإنتاج المادى ، ثم قيادة الأسرة والمجتمع ووضع نظمه وإدارة شؤون السياسة الاجتماعية والاقتصادية .

لذلك فقد زود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام الفكر قبل الحركة والاستجابة ، لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التَرَوِّى قبل الإقدام وإعمال الفكر والبطء فى الاستجابة بوجه عام ، وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل فى مجالها ، كما أنه مكلف بالإنفاق وهو فى فرع توزيع الاختصاصات وما يجعله بدوره أولى بالقوامة .

ويأتى سؤال : ماذا يحدث حين تتخلى المرأة عن وظيفتها التى خلقها الله تعالى وتسعى بالمساواة الكاملة بالرجل فى كل عمل من أعماله وفى كل وظيفة من وظائفه حتى تكسب المال وتحقق ذاتها ، كما تقول الأفكار التى تريد أن تجعل المرأة تسير فى هذا الاتجاه ؟

إن المرأة التى تعمل فى وسائل النقل العامة أو فى مجالات التعدين أو فى الصناعات الثقيلة أو حتى فى رصف الشوارع وتنظيفها ، تفقد كثيرًا من أنوثتها وتتحول إلى شبه رجل فى غلظته ومعاملته للآخرين ، والمرأة التى تعمل فى المكاتب

أو التى تشارك فى عمل لايدعو إلى الحركة ، تزهد على مر الأيام فى علاقتها الزوجية ويضعف فى نفسها شأن هذه العلاقة بسبب الإرهاق فى العمل فى المنزل وخارجه وعدم إعطائها فرصة التغيير طوال أيام الأسبوع .

واستند علماء الأحياء في هذا الفرض نظرياً إلى قانون طبيعي معروف ، وهو أن الوظيفة تخلق العضو ومعناها فيما نحن فيه « أن وظيفة الأمومة هي التي خلقت في حواء خصائص مميزة للأنوثة لابد وأن تضمر تدريجياً بانصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها فيما نسميه عالم الرجال » .

طبيبة نمساوية بحثت هذه الناحية بحثاً طويلاً ونقلت عنها الدكتورة بنت الشاطئ تجربتها فكتبت تقول : « إن ذلك القلق لا صلة له بمتاعب الانتقال المفروض على أصل الطبيعة من نساء الشرق ، وإنما هو صدى لشعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علماء الاجتماع والفسيولوجيا والبيولوجيا فى المرأة العاملة ، وذلك ما لوحظ من تغير بطيء في كيانها ، لم يثر الانتباه أولا ، لولا ما سجلته الإحصاءات من اطراد فى المواليد بين العاملات ، وكان المظنون أن هذا النقص اختيارى محض ، وذلك لحرص المرأة العاملة على التخفف من أعباء الحياة فى الحمل والولادة والإرضاع تحت ضغت الحاجة والاستقرار فى العمل ، ولكن ظهر من استقراء الإحصاءات ، أن نقص المواليد للزوجات العاملات لم يكن أثره أكثر عن اختيار ، بل عن عقم استعصى علاجه ، وبفحص نماذج شتى متنوعة بين حالات العقم ، اتضح أنه فى الغالب لا يرجع إلى عيب عضوى ظاهرى ، مما دعا العلماء إلى افتراض تغير طارىء على كيان الأنثى العاملة ، نتيجة لانصرافها

المادى والذهنى والعصبى عن مشاغل الأمومة ودنيا حواء وتشبثها بالمســـاواة مع الرجل ومشاركته فى ميدان الحياة عملـــه .

واستند علماء الأحياء في هذا الفرض نظرياً إلى قانون طبيعي معروف ، وهو أن الوظيفة تخلق العضو ومعناها فيما نحن فيه « أن وظيفة الأمومة هي التي خلقت في حواء خصائص مميزة للأنوثة لابد وأن تضمر تدريجياً بانصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها فيما نسميه عالم الرجال » .

ثم تابــع العلماء هذا الفــرض ، فإذا بالتجــارب تؤيــده إلى أبعــد مما كان منتظراً ، وإذا بهم يعلنون في اطمئنان مقرون بشيء من التحفظ عن قرب ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

الفصل الرابع

المرأة الغربية تستجيب لنداء الفطرة

بين الأمس واليوم :

ما أكثر ما جنت الحضارة الغربية على نفسها وعلينا ، لقد جعلناها قدوة لنا في كل شيء ، حتى في الأشياء التي نجد عنها في ديننا القول الفصل ، لكننا كنا في فترة ضعف نستقبل فيها عن الغرب القوي ونظن أن كل ما يأتي به هو التقدم والمدنية والحضارة التي سيطرت على العالم كله .

ومن جهة أخرى بدأ الغرب يغزونا بأفكاره ليربينا على الطاعة المطلقة ويغسل مخنا من كل الأفكار والقيم التي كانت عندنا .

وقضية المرأة أخذت شوطاً كبيراً تحت أسماء براقة - الحرية - مساواة المرأة

بالرجل وما إلى ذلك وتكونت الجمعيات النسائية العربية والإسلامية ، وبدأت تنادي بتطبيق هذه الأفكار وهي غافلة عن المتاعب التي ستلحقها وتلحق أسرتها وبالتالي ستلحق المجتمع كله .

وافتعلت المعارك بين الرجل والمرأة ، ففلان نصير للمرأة وفلان عدو للمرأة وتنشر الصحف دائماً عن المكاسب التي تأخذها المرأة في كل يوم في دولة كذا ودولة كذا .

وكان من نتائج ذلك ما لاحظه المفكرون وعلماء النفس والأطباء من ضياع أجيال من الأطفال وإصابتهم بمختلف الأمراض النفسية والعقلية والجسمية لفقدانهم الرعاية والحنان والعطف والرضاعة الطبيعية وتركهم في المحاضن أو مع العاملات في المنازل ، كما كان من نتائج ذلك تخلخل داخل كل أسرة من الأسر ، لأن المرأة شغلتها وظيفتها عن رعاية أسرتها ، وكان ذلك فوق ما تحتمله المرأة ، بل وفوق ما تحتمله الجماعات الإنسانية .

وكان لابد من الرجوع إلى نداء الفطرة البشرية على أن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة هو أن العودة إلى الطبيعة قامت بها المرأة ، ذلك لأنها أحست بالخسارة عليها ، لقد كانت كذبة كبرى تلك المساواة التي قالوا عنها لأن هناك فروقاً في كل ناحية من النواحي بين الرجل والمرأة .

وهذه الخسارة نالت أول ما نالت المرأة نفسها ، وظهر ذلك في فقدانها لراحتها الجسمية وراحتها النفسية ، كما ظهر في تخلخل الأسرة وكيانها .

وبدأ كل شيء يظهر عندهم وعندنا . وبدأت المرأة العربية المسلمة تشكو ولكنها في طريقها سائرة .

وبدأت المرأة الغربية تشكو ولكنها إيجابية فأعلنت رأيها بصراحة وطالبت بعودة المرأة إلى البيت وبالعناية ببيتها وترك الأفكار القديمة التي كانت وراء خروج المرأة إلى العمل .

ولقيت النساء اللاتي تنبهن إلى هذه الخطورة مقاومة أحياناً من المرأة وأحياناً من الرجل .

ولكنهن سرن في طريقهن رافعات الأصوات ، وقد نجحن في ذلك بعض النجاح .

والمهم : أن هذه الصيحة ، صيحة عودة المرأة إلى البيت وعنايتها بزوجها وأطفالها بدأت في الغرب ، وحينئذ لا يقال عن هؤلاء النسوة : إنهن رجعيات أو متخلفات أو غير متمدينات أو ما إلى ذلك من الألفاظ التي تتجعل المرأة تنفر من مثل هذه التهم .

وبدأت بعض الدول تعطي المرأة إجازات طويلة بعد كل ولادة ، وبدأت بعض القوانين تظهر لإعطاء هذه الإجازات بمرتب أو نصف مرتب ، المهم أن المجتمعات بدأت تحس بالخطورة وتحاول أن تجد العلاج .

المرأة رهن إشارة زوجها :

وقد كان من العجيب أن تظهر في أمريكا حركة تدعو إلى الخضوع التام لسيطرة الرجل والسبب في ذلك كما تقول القائمات بالحركة لإسعاد المرأة وإعادة الهناءة والطمأنينة والاستقرار إلى كثير من العلاقات الزوجية .

ولهذه الحركة قصة فقد ألفت السيدة مورابيل مورجان ، وهي ربة بيت أمريكية كتاباً عرضت فيه لكثير من الأسباب التي تدفع الحياة الزوجية إلى الفشل والانهيار ، واقترحت المؤلفة مجموعة من الحلول ووسائل علاج للعلاقات الزوجية المنهارة في أمريكا .

وفوجئت أوساط النشر الأمريكية ، بأن هذا الكتاب قد حقق رقماً خيالياً من المبيعات والانتشار في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .

وقالت صحيفة ديلي إكسبريس اللندنية : « إن عالم النشر والتأليف ذهل عندما ضرب ذلك الكتاب الرقم القياسي في عدد النسخ التي بيعت منه والتي بلغت الملايين ، ومن هنا فقد ظهرت الحركة النسائية الأمريكية الجديدة والتي أطلقت على نفسها « حركة كل نساء العالم » .

واستطاعت هذه الحركة أن تجذب عدداً كبيراً من النساء ، ممن بملغن درجة كبيرة من التعليم والثقافة ، وانتشر عدد كبير منهن في كافة الولايات المتحدة ، يدافعن عن أفكار الحركة الجديدة وبدأ عدة مئات منهن في الدعوة والتبشير بأفكار

هذه الحركة ، عن طريق إلقاء محاضرات وعقد ندوات في المدن الأمريكية الرئيسية .

ولشـدة إقبـال النسـاء على هذه الحـركة ، بدأت المسؤولات عنها في تنظيم فصـــول دراسيـة منتظمـة للراغبـات في تحقيق السعـادة الـزوجيـة وتـوفـير الهنـاءة والاستقرار للعش السعيد ، وأما مدة الدراسة التي خصصت لتدريس هذا العلم الجديد فهو ست ساعات للفصل الدراسي الواحد .

ويقـول بول داكـر مراسـل الـديلي إكسبريس البريطانية في نيويورك : « إنه استطاع أن يتسلل إلى إحدى قاعات الدرس في أثناء انعقاد أحد هذه الفصول في أحد الفنادق الصغيرة الواقعة في ضاحية من ضواحي نيويورك ، لممارسة نشاطها هناك ، فوجد النساء الأمريكيات يجلسن في سكون تام وهن يستمعن إلى نصائح رائدات حركة كل نساء العالم وأفكارهن الجديدة ، بل وأفكارهن الغريبة تماماً على المجتمع الأمريكي ، والدراسة ليست مجانية ، بل إن المرأة تدفع مبلغاً يعادل خمسة عشر دولاراً أمريكياً ، وهو مبلغ ضئيل بالنسبة لما يحققه من نتائج ، والتحقت بهذا المركز وحده أكثر من مائتي سيدة أمريكية من مختلف الأعمار والثقافات .

ويقـول المـراسـل : « ومن تلك القـاعـة من قاعـات الـدرس كانت رائحـة العطـور النسـائيـة تختلط بالآمـال العـريضـة التي علقتها الدارسات لهذا الأسلوب الجـديـد الـذي يتعلمنـه لممارسته في بيت الزوجية ، ولم يكن هناك ما يدفع السيدة المحـاضـرة إلى أن تقـول : « ليكن زوجـك يا سيـدتي هو السيـد الحقيقي للبيت

وعليك أن تعتز في بسيادته هذه وأن تهيئي حياتك له ، وأن تكوني له عبداً مطيعاً يخدمه ويعمل على راحته » .

وتضيف جويس دافيسون زعيمة حركة كل نساء العالم في محاضرتها قائلة : « هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل ، إن الرجل هو السيد المطاع ويجب على المرأة أن تعيش في بيت الزوجية وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة وعليكن أيها السيدات أن تتذكرن دائماً : « أن الرجل يسعده دائماً أن يرى عبارات الإعجاب والثناء ، تماماً مثلما يسعد المرأة أن تستمع إلى عبارات الحب والغرام ، إن المرأة تأسر قلب الرجل حينما تعبر عن إعجابها به وبأسلوبه في الحياة - في عمله - في هوايته - في طريقة اختياره ملابسه - إن المرأة التي تنشد السعادة حقيقة ، إنما هي تلك التي تعبر عن هذا الإعجاب كل يوم وهي التي تستطيع أن تتكيف مع واقعه وطريقته في تبادل أمور معيشته وهي التي تقبل برضا وقناعة ذوقه الخاص في اختيار أصدقائه ، وهي التي تعمل على أن تذيب شخصيتها تماماً داخل شخصيته ، فتحب ما يحب زوجها وتكره ما يكرهه وتمارس ما يمارسه هو من أنماط الحياة وأساليبها » .

ثم تضع أمام كل النساء ما يشبه جداول عمل تفصيلية ، تعتبرها الزوجات ممن يحضرن هذا المؤتمر وصفة طبية لمعالجة التصدع الرهيب الذي أحدثته في بعض العائلات الأوربية والأمريكية أفكار المساواة واتجاهات التحرر .

وتنصح جويس كل امرأة تعاني من هذا التصدع في علاقتها الزوجية أن

تطلب منه كتابة أهم التغيرات التي يراها ضرورية ، والتي يرغب في أن تقوم بها الـزوجـة في بيتـه ، وتطلب جويس من الـزوجـة أن تأخـذ ما يكتبـه زوجهـا وتقوم بدراسته بإمعان دراسة خاصة ودون مناقشة أو جدل ، وتبدأ على الفور في تنفيذ ما يطلبـه الـرجـل ومـا ينشـده من تغير بمنتهى الرضا والقناعة ، وعلى المرأة أن تقوم بإجراء هذا التغيير إرضاء للزوج مقنعة إياه أنها تستطيع أن تغير من روتين حياتها من السعادة وتوفير الراحة له ولا يجب أن تفارق الابتسامة مطلقاً وجه الزوجة ، فالبيوت المريضة حقا هي تلك التي غابت عنها ابتسامة الزوجة العذبة التي ينعكس سحرها على قلب الزوج .

وتتساءل مسز دافيستون : لماذا تعترض الزوجة دائماً آراء زوجها ؟ ألا يعبر هذا الاعتراض عن شعور المرأة بأن تسعى إلى المساواة به وبالتالي ألا يتسبب ذلك في أن يتحول البيت إلى حلبة للمصارعة بين أفكار زوجها وآرائها ؟ إن المشاكل كثيراً ما تتعقد ويصعب حلها حين يصر كل من الطرفين على رأيه وينقطع تماماً حبل التفاهم بينهما ، فما السبيل إذن في رأي جويس ؟

إن جويس ترى : « أن على الزوجة أن تكون مطيعة دائماً لسيدها الزوج وعليها أن تكون دائماً مطيعة وأن تقول نعم لكل آرائه ، وبذلك تكسب ثقة الرجل وقلبـه وتستطيـع بالتـالي أن تقـدم إليـه آراءهـا دون تعصب ، وبالتالي فإن الرجل سيشعـر بسيـادتـه وتميـزه وبقـدرته على اتخاذ القرار بنفسه ، وقد يكون هذا الرأي مطابقاً لرأي الزوجة المطيعة المحبوبة » .

وتتحدث جويس عن نفسها قائلة : « إنها كثيراً ما تسببت في إزعاج زوجها بسعيها المتواصل من أجل المساواة ولكنها اكتشفت بعد ذلك : أن هذا السعي كان هو السبب الرئيسي وراء كل خلافاتها مع زوجها وتضيف : أنها تعلمت من كتاب ميراميل مورجان : أن الرجل هو سيد البيت وقبطان السفينة وسط أمواج الحياة المتلاطمة .

وترى أن معظم زوجات هذه الأيام يعتقدن أن الرجل يتزوج المرأة ليحرمها من السعادة والهناءة ولكن الزوجة تخطىء كثيراً إذا سيطر عليها هذا الاعتقاد في نظرتها إلى الرجل ، وهي لا ترى أن المرأة الحقيقية تكمن في عقلها لا في جسدها وأن المتعة الجسدية تفقد أهميتها في الاحتفاظ بالزوج إذا لم تتوفر للزوجة الراحة المطلوبة في فكرها وعقلها .

ويقول المراسل : « السيدة جويس أمريكية شقراء يصعب عليك يا سيدتي ألا تأخذي حديثها مأخذ الجد والاهتمام ، ولابد أنها سعيدة في حياتها بعد هذا التحول في علاقتها الزوجية ، فالابتسامة لا تفارق شفتيها ، وهي تتحدث بثقة تامة عن آرائها وأفكارها .

ورائدات هذه الحركة يحرصن على محاولة إقناع الدارسات في الفصول الدراسية التي تعقدها الحركة بضرورة البقاء في البيت وينادين بعدم خروج المرأة إلى ميدان العمل ، فالبيت هو مملكة المرأة تعمل فيه لخدمة زوجها وأولادها وتنشئتهن التنشئة الاجتماعية الصالحة .

ثم تقـول : « إن أروع الأعـمال التي تنـاسب المـرأة في هذا العالم هو عملها داخل بيتها وعلى المرأة أن تتفاخر بهذا العمل وبرعايتها لزوجها التي فقدتها عند ما خرجت إلى ميدان العمل » .

وقد سئلت السيدة جويس : « هل تعتقد وتؤمن إيماناً راسخاً بأن زوجها هو سيد البيت فأجابت بابتسامة رقيقة ٠ « إن البيت شأنه شأن آية هيئة ومنظمة في ذلك ، لابد وأن يكون له رئيس يوجه العمل بتعليماته وأوامره ، وكما أنه لابد من قبطان واحد للسفينة يأتمر الجميع بأمره ، كذلك لابد للبيت من سيد واحد فليس في قدرة فارسين قيادة حصان واحد ، لقد خلق الله الرجل ليكون سيد البيت فلماذا نعاند أنفسنا ونرفض التسليم بهذه الحقيقة ؟ » .

وقـد سأل محرر الـديـلي إكسـبريس السيـدة جويس قائلاً : فماذا لو اختلف الـزوجـان حول قرار واحـد وحـدث الصـراع بينهـما فلمن تكـون الغلبـة الحقيقيـة حينئـذ ؟ وفـاجأتـه بردهـا : « لو حدث واختلف الـزوجان في الرأي فالقرار الأول والأخــير يجب أن يكـون للزوج ، حتى ولـو كان رأيـه خاطئـاً ، إن هذا سيكـون أفضل ألف مرة من الأخذ برأي الزوجة حتى ولو كانت على صواب .

ثم اتجهت إلى الحـديث مع طالبـاتهـا الـلاتي ينشـدن السعـادة في حياتهن المنهكة المتعبة ، اتجهت إليهن بكل انفعالاتها تحاول أن تعود بالمرأة إلى عصر ترى أنـه أسعـد عصـور المـرأة حين كان الرجل سيداً آمراً وناهياً وكانت المرأة هي القطة المـدللة الـوديعـة المطيعـة وتصيـح قائلة : « عبري عن إعجـابك بزوجك ؟ اقبليه

بأخطائه وعيوبه وأقنعي نفسك بأنه أفضل زوج في العالم ، اعشقي ما يعشق من طعام وشراب مارسي هواياته بشغف واهتمام . حاولي بعد عودته إلى البيت ألا تنشغلي عنه بأي شيء حتى ولو بمكالمة هاتفية » .

وتنصت الطالبات بإمعان وهدوء وتتمنى كل واحدة منهن لو استطاعت تنفيذ تعاليم رائدة حركة كل نساء العالم وأن تعلو شفتيها ابتسامة كتلك التي تشرق على شفتي السيدة جويس .

تركت الوظيفـــــة :

الكاكلوري ضيفة القاهرة في مطلع عام ١٩٧٩ م زوجة عمدة هامبورج ، أم لطفل عمره سبعة أشهر عملت قبل الوضع وتركت العمل الآن للتفرغ للقادم الجديد ولمسؤولياتها كزوجة عمدة هامبورج وتقول : « كنت أعمل قبل ولادة ابني مدرسة في مدرسة المعوقين اجتماعيا وبعد الزواج بحوالي عام ، تولى زوجي منصب عمـدة الـولايـة فطلبت أن يخفض جدولي إلى النصف حتى أستطيع التوفيق بين حياتي الخاصة ووظيفتي الاجتماعية ، وقد استقلت من عملي بعد ولادة طفلي حتى أتفرغ له ولمسؤولياتي الجديدة ، كما قررت أن أقلل من نشاطي الاجتماعي لأن حياتي الأسرية تأتي في المرتبة الأولى » .

هذه المرأة ألمانية ، وقد تفرغت لبيتها ولتربية المولود الجديد ولم يتهمها أحد

بالتخلف أو الرجعية أو التنازل عن حقوقها أو أن هذا مناف لكرامتها أو ما إلى ذلك من التهم التي تقال للمرأة في مثل هذه الحالة في بلادنا .

محكمة دولية جديدة :

لم يكد يمضي أسبوع على إنشاء محكمة في بروكسل عاصمة بلجيكا وعاصمة السوق الأوربية المشتركة أطلق عليها « المحكمة الدولية للنظر في جرائم الرجال ضد النساء » حتى عقد اجتماع كبير من مجلس وزراء السوق التسع لمناقشة الموضوع ، موضوع المساواة بين المرأة الأوربية والرجل الأوربي ، وكان أبرز ما تناوله الاجتماع ، نتائج استطلاع للرأي العام الأوربي الذي أجرى منذ فترة في دول السوق بين الرجال والنساء وكانت النتيجة أن ٥٨٪ ممن جرى سؤالهن يعارضن بشدة أي تغييرات في أوضاع المرأة أو منحها مزيداً من الحقوق ، ١٨٪ ذكرن أنه يمكن إجراء بعض التغييرات والإصلاحات ولكن بشكل معتدل ، ٢٤٪ ذكرن أن هذا الموضوع لا يحظى باهتمامهن على الإطلاق .

ومما كشف عنه الاستطلاع في مجتمع الدانمرك وبريطانيا وهولندا أن هذه المجتمعات لا تعير هذا الموضوع اهتماماً كبيراً على عكس فرنسا وإيطاليا وإيرلندا ولوكسمبرج .

لاحظت الدكتورة ابدابلين : أن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجـرائم في المجتمـع هو أن الـزوجـة تركت بيتها لتضاعف دخلها ودخل الأسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق ، ثم قالت : إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى البيت هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور .

والكـاتبـة الإنجليـزيـة الليـدي كوك تقـول : « علمـوا النساء الابتعاد عن الرجال،أخبروهن بعاقبة الكيد الكائن لهن بالمرصاد .

والـدكتـورة مايـون هيليـارد أستـاذ علـم النفس والتي قضت أكثر من أربعين عامـاً في دراسـة سيكلوجيـة المـرأة والـرجل معاً قالت : « المرأة أضعف من الرجل وأكثر تأثراً وحساسية وهي لذلك متعطشة دائماً للتقدير تقدير زوجها كأم وكزوجة وكم من امرأة ضحت بعملها الذي كانت ترتزق منه قبل الزواج من أجل بيتها وأسرتها ، وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها » .

اتركن هذه الشعارات :

في ولايـة إنـديـانـا الأمـريكيـة ، كان النقاش حاداً بين واحد من الدارسين العـرب وبـين بعض زميـلاتـه في الجـامعـة في أثناء دراستهم العليا ، هو يدعو إلى

الإسلام الذي رعى حقوق المرأة وصانها وهي تتكلم عن تحرير المرأة .

ونوقشت قضية المرأة واحتكموا في النهاية إلى عميد الكلية ودار حوار هادئ شارك فيه الشاب المسلم ، واستدعت العميدة واحدة من كبريات الأساتذة عندها ليتفقا على جواب واحد وكان جوابها : « يجب أن تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية ، فإن أجمل أوقات المرأة هي مناجاة طفل وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية وأشهى ثمرة تقطفها تربية أجيال ، ثم قالت : « لقد تحصلنا على أكبر مركز تتوق إليه المرأة ، بل الرجل في هذه الحياة وأكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي ، إن السعادة الحقيقية للمرأة ، بعد ما درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي أعطاها للمرأة، وأشارت إلى زميل الحوار » ، مجلة الاعتصام القاهرية عدد ذي القعدة ١٤٠٠ هـ .

وللممثلات رأي :

لعل الممثلات هن أكثر نساء العالم شهرة واختلاطاً وتمتعاً بمباهج الحياة ، ولعل الكثيرات من الفتيات يرغبن في الوصول إلى ذلك .

ترى هل الممثلات سعيدات بذلك ؟ تجيب على هذا السؤال « مارلين مونرو » وهي أشهر ممثلة إغراء في رسالتها التي كتبتها عند انتحارها بقولها : « إني

أتعس امرأة على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أماً ، إني امرأة أفضل البيت والحياة الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة ، لقد ظلمني الناس ، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة » .

وتقول الممثلة الأمريكية : بربارت ستر يانـد في آخر مقالة صحفية لها : « لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصني ، اهتممت أكثر مما يجب بحياتي الفنية ونسيت حياتي كامرأة وإنسانة ، مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن والحقيقة : أن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية حيث تشعر المرأة أنها امرأة » منار الإسلام عدد ذي القعدة ١٤٠١ هـ .

وسعاد حسني الممثلة المصرية الشهيرة تدلي برأيها لمجلة « المجلة اللندنية » عدد ٧ من نوفمبر سنة ١٩٨١ م فتقول : « أعتقد أن مزاحمة المرأة للرجل في جميع الأعمال ما هي إلاّ مقاومة لطبيعة الأشياء التي تقضي بأن المرأة لبيتها وأولادها ، إن ما يحدث الآن من أزمات ومتاعب تتعرض لها المرأة العاملة هو الذي دفعني إلى اعتناق هذا الرأي ، إن التطور لا يجدي بلا أخلاق ، إن شباب اليوم قد انطلق يتحرر من الأخلاق في سطحية عجيبة ، لم يعد احترام الوالدين واجبا ولم يعد احترام الكبار والنزول عند رأيهم فرضاً » .

المرأة اليابانيـــــة :

واليابان الدولة التي نهضت عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله ما وضع المرأة فيها ؟

تجيب على هذا السؤال « نوبو ابسكاوا » سفيرة اليابان في باريس في مجلة المجلة عدد ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٨١ م قائلة : « المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج ، أما بعد الزواج فهي إما أن تترك العمل مباشرة وإما أن تتابعه حتى يصبح لديها أولاد ، بينما تلتزم المرأة منزلها وبخاصة وأنه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة ، تربية الأولاد ـ المطبخ ـ تنظيف البيت وما إلى ذلك من الأمور المنزلية ، وحين يكبر الأولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة إلى ممارسة نشاطاتها السابقة ثم أضافت قائلة : « والجدير بالذكر هنا أن من أسباب قوة اليابان حالياً ، عناية المرأة بالأولاد » .

إني لبيتي راجعة :

هذا عنوان كتاب قدمه التلفاز الفرنسي لندوة من السيدات الفرنسيات ، يمثلن مختلف المذاهب السياسية والاجتماعية بحضور مؤلفته السيدة كريستيان كولانج ، من مطلع العام الميلادي الحاضر سنة ٧٩ والكتاب من منشورات مكتبة كراسة في باريس وهو مكون من ١٨٨ صفحة ، وقد نشر هذا الملخص في مجلة التمدن الإسلامي الدمشقية عدد رجب سنة ١٤٠٠ هـ .

« أثـار الكتـاب جدلاً كبـيراً في النـدوة التلفـازيـة وتحـدثت عنـه الصحف والمجلات الفرنسية بإسهاب ، ولا سيما وعودة المرأة لدارها لا تقره نصيرات المرأة المتحررة في أوربا » .

وقبـل تأليف الكتـاب استطـاعت السيـدة كريستيـان كولانج ، التوفيق بين دارها وعملها فربت أبناءها الأربعة وعملت في الصحافة مدة خمسة وعشرين عاماً وألفت كتابين عنوان الأول : « السيدة والأولاد » وعنوان الثاني : « السيدة والسعادة » .

بدأت المـؤلفـة القـول : « بأنها بالنسبة لمجتمعها معدودة من الناجحات في التـوفيق بين حيـاة الأسـرة والعمـل خارجهـا ، ثم عدت اللواتي نجحن مثلهـا في التوفيق فوجدتهن كثيرات ، ثم تساءلت قائلة : « هل السبب في نجاحنا مهارتنا وشجاعتنا وصبرنا ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى هامة كغنى الأسرة والعيش الوفير الذي تتمتع به طبقتنا الاجتماعية وحظنا في الوصول إلى مهنة سهلة بالنسبة للمهن الأخـرى تسمـح لنـا بأن نكـون دومـاً على مقـربة من أبنائنا نأخذهم للطبيب إذا مرضوا ونلازم الدار إذا لازموا الفراش وهذا أمر لا يتيسر لأكثر النساء العاملات في المصانع والمتاجر البعيدة جداً عن مساكنهن ، كما لا يتيسر لهن استئجار الممرضات والحاضنات والخادمات ثم عمقت بحثها وطرحت السؤال التالي : « هل التوفيق بين حياة الأسرة الحقيقية والعمل المجدي خارج الدار أمر ممكن في واقع الحياة أم لابد منه من الاختيار بين حياة الخدمة الطويلة داخل البيت طول النهار والسآمة

بين جدران الدار أو الجهد المضني وتهدم الأعصاب في الأعمار المهنية خارج البيت ، هل لها أن تقضي وقتها راكضة وراء أبنائها وبناتها وحاجاتهم للغذاء والكساء والبيت النظيف طول اليـوم أو أن تراهم أقـل من ساعـة في الصبـاح وسـاعتـين فقـط في المساء ؟ هل تقبل بحياة يعتبرها الناس حياة العصر القديم والمرأة المطيعة القابلة لكل شيء ، أم تؤثر نمط الحياة الذي يعده الناس نمط التحرر والانطلاق والحرية الكاملة » .

يبدو لقارئ كتاب السيدة كريستيان كولانج ، أنها وجدت صعوبة كبيرة في الجواب على هذه الأسئلة لأنها تريد الأمرين معاً ، تريد أن تحيا الحياتين بصورة تامة كاملة ، وهذا لا يمكن لإنسان ، لذلك ظلت مترددة مدة طويلة ، لأنها لا تدري أي طراز من المعيشتين تختار ؟

ثم دخـل تفكـيرهـا في طور جديـد حين تزوج أحـد أبنـائهـا وجـاء الحفيد فشعرت بمعزة الولد وولد الولد وتفجرت في قلبها كل عاطفة الأمومة التي احتبس قسم كبـير منهـا في نفسهـا بسبب انشغـالهـا عن أولادهـا في الماضي للعمل خارج البيت ، وبفضل الحفيد والأمور الكاملة التي فجرها في حياتها الداخلية ، ولو جاء متأخراً ، شعرت شعوراً عميقاً جارفاً لا يقاوم بأن المرأة لا يكمل نموها النفسي والروحي ، ولا تبلغ كمال تطورها ولا يتألق جوهرها إلّا إذا قامت بدور الأم قياماً كاملاً غير منقوص ، فإن فاتها هذا الدور في تربية أولادها في الماضي ، فإنها قررت ألا يفوتها في تربية أحفادها في المستقبل ، لذلك تركت عملها خارج الدار وعادت

للبيت لترعى زوجها وأولادها وأحفادها بوجه خالص بنفس راغبة صادقة وقلب منشرح جذلان وأعلنت ذلك على رؤوس الأشهاد في كتابها ذي العنوان : « **إني لبيتي راجعة** » .

والعودة للبيت تيار تزداد قوته يوماً في فرنسا وألمانيا وسائر البلاد الغربية ، وكان انعقاد المؤتمر العالمي للأسرة في مبنى اليونسكو بباريس في مطلع هذا العام مناسبة لوزير الصحة ووزير التربية في فرنسا ووزيرة الشؤون الاجتماعية في السودان ووزير الشؤون الاجتماعية في ألمانيا الغربية للتأكيد على أن وجود الأم في البيت من أقوى العوامل لتمكين الأسرة واستفادة الأولاد من تماسكها المنعش المقوى ونعمها الكثيرة ، وفي ختام مقال نشرته جريدة لوموند الفرنسية للوزيرة الفرنسية المسؤولة عن شؤون المرأة نقرأ العبارة التالية : « علينا أن نجعل مجتمعنا أشد اهتماماً ورعاية للطفل وأقدر على تقديم الخدمات وتبادل المساعدات وحسن الجوار وأن تعيد إلى النساء ثقتهن في أنفسهن ليصبحن قادرات على حسن اختيار المهنة التي يحببنها لمعيشتهن وبالدرجة الأولى طبعا مهنة الأمومة » .

واقترحت المربية الإيطالية السيدة هيلد هور في جريدة في ميونيخ تأليف نقابة خاصة بالسيدات المفضلات للعمل داخل الأسرة والبيت .

والنساء الآن ينقسمن إلى طائفتين :

الطائفة المحظوظة : وهي التي تتيح لها ظروف الحياة حرية الاختيار بين لزوم الدار أو الشغل خارج الدار ومؤلفة الكتاب من هذه الطائفة .

الطائفة الثانية : هي الطائفة غير المحظوظة من النساء ، وهي طائفة النساء الفقيرات جداً من المتزوجات « المضطرات لمعونة الزوج الفقير على كسب القوت للأسرة » .

وطائفة غير المتزوجات .

وطائفة المطلقات من النساء .

وطائفة الأرامل اللواتي ليس لهن معين ولا عائل .

وكل النساء في هذه الطوائف غير المحدودة ، وعددهن في فرنسا بالإحصاء الرسمي يزيد على المليونين مضطرات للعمل خارج الدار رغم أنوفهن ولا يمكن حرية الاختيار بين الدار ومكان العول والارتزاق الشريف .

وفي رأي مؤلفة الكتاب : « أننا لو سألنا كل الأطفال الذين هم في سنهم دون العاشرة لفضلوا جميعاً دون استثناء أن تبقى أمهاتهم في الدار لمصلحة الأسرة بمجموعها ، فإن صح هذا فلتعد الأمهات اللواتي سمح لهن حسن الطالع بالاستقرار في الدار لرعاية الأسرة ، وليشكرن الله على هذه النعمة التي لا تقدرها إلّا النساء اللواتي حرمن منها وحرم منها أبناؤهن وبناتهن .

تغبط المجتمع العربي :

الكاتبة الأمريكية : « هيللين ستانستيري » الأمريكية تغبط المجتمع العربي تمسكه بأخلاقه فتقول : « إن المجتمع العربي كامل وسليم ومن الخليق

بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تفيد الفتاة والشباب في حدود المعقول ، وأن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي ، فعندهم تقاليد موروثة تحت تقييد المرأة وتحت ادعاء احترام الأب والأم ، بل وتحتم أكثر من ذلك ، لهذا أنصحكم أن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خير من إباحية وانطلاق أوروبا وأمريكا » وأضافت قائلة : « امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة ، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤ ون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغر جعلت منهن « جيمس دين » المصابات بالمخدرات والرقيق » .

« إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأمريكي والأوربي هدد الأسرة وزلزل القيم الأخلاقية فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث ، تخالط الشباب وترقص « التشاتشا » وتشرب الخمر والسجائر ، بل وتتعاطى ذلك كله باسم المدنية والحرية والإباحية ، والعجيب في أوربا وأمريكا أن الفتاة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها ، تتحداهم باسم الحرية والاختلاط وتتحداهم باسم الإباحية والانطلاق تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ، ولا يكلفها هذا أكثر من توقيع وبعض النقوط وعريس ليلة أو عدة ليال

وبعدها يتم الطلاق . وربما الزواج والطلاق مرة أخرى » مجلة الأمان اللبنانية بتاريخ ٢٣ من جمادي الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

المرأة تدافع عن الرجل :

جيلدا جاكسون ، حاملة الأوسكار ، وواحدة من أهم ممثلات القرن العشرين التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة وحصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول : « إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر ، بناء على ما يتمتع به من أسباب للقوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله تعالى به من قوة في تحريك الحياة واستخراج خيراتها ، إنه مقام الذاتية عند الرجل والتي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنهائها واطراد ذلك في المجالات الحياتية الصعبة » .

وهي تعتقد أن المرأة تعتمد على الرجل عاطفياً وحياتياً وماديا وتقول : « إنها شخصياً تفضل أن يكون رجلها أقوى منها وتحب أن تذوب فيه من غير دكتاتورية أو فقدان لشخصيتها » .

زعيمة نسائية تدعو إلى الاهتمام بالزوج والأولاد :

فيليبس شلافي ، الزعمية النسائية الأمريكية ، دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة ، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب

الأسـرة وقـائـد دفتهـا كما جاء في مجلة النهضـة الكـويتية بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩٨٢ م ، وهي أم لستة أطفال وربة بيت ناجحة وسعيدة .

وفي السنـوات الثـماني الأخـيرة طافت فيليبس شلافي جميـع أنحاء أمريكا ، تدعـو للوقـوف في وجـه تعـديـل الحقـوق المتسـاوية التي تطالب الحركات النسائية بإضـــافتهـــا إلى الـــدستـور الأمـريكي ، وفي هذا الصيف كسبت فيليبس شلافي المعـركـة ، على الـرغم من الحملة العنيفـة التي نظمهـا معـارضـوها ضد آرائها ، تقـول : « إن المطـالبـات بتحـرير المرأة أصبحن مهيمنات وذوات نفوذ ، وبعضهن أصبحن في مراكـز ووظـائف مهيمنـة ، هؤلاء النسـاء مندفعات مناضلات ولكنهن أيضا خاسرات ، إن المرأة العادية في أمريكا لا تريد أن تعامل كما يعامل الرجل إن الأعداد الكبيرة من النساء الأمريكيات اللاتي رفضن ما ذهبت إليه الداعيات إلى تحريـر المـرأة ، هن النسـاء الـلاتي يضعن الأسـرة في المقـام الأول ، إنهن يؤيدن ويدعين أزواجهن لأنهن يعرفن أن هذا هو السبيل المستقيم .

عندما سئلت : لماذا لا تعطي المرأة فرصة اختيار الوظيفة إذا هي أرادت ذلك ؟

أجابت : إنني مع أية امرأة تختار ما تريد ، فهذه بلاد حرة والكل فيها يختار ما يريـــد ، لكن العـديـد من هؤلاء النسـوة العـامـلات يدخلن في الثـلاثـين من أعـمارهن ، ويـدركن أنهن فقـدن شيئـاً هاماً ، لقد اختر ن ولكنهن لسن سعيدات بهذا الاختيار ، ذلك أننا نرى الآن موجة من النساء يصبح لديهن أطفال وهن في

الثـلاثينـات من أعـمارهن ، هؤلاء هن النسـاء الـلاتي قررن في النهاية أن الأمومة والتفرغ لها أفضل من أن يذهبن كل يوم للعمل .

ثم تقول : « عندما نسمع من هؤلاء المتحدثات عن تحرير المرأة ، يبدو لك أنهن يعنـين التحـرر من الـزواج والأسـرة والأطفال ، أعتقد أنه لا توجد رغبة لأية امـرأة عاقلة للتحـرر من كل هذا ، إنني أومن في أن ترعى أطفـالهـا وأومن أيضـاً بتفاهم اجتماعي يجعل الزواج سعيداً .

وتتحدث فيلبس عن علاقتها مع زوجها فتقول : « إنني دائماً أدعه يشعر بأنه المسـؤول في البيت ، لأن هذه هي طبيعة الحياة ، لابد من مسؤول واحد ورئيس واحـد لكـل شيء ، لكن الـداعيـات إلى تحريـر المـرأة يقلن : إن من التفـاهم الاجتـماعي أن تكتسبي كل شيء ـ تمامـاً ـ كالـزوج بمجـرد أن تحمـلي اسمـه الأخير ، وتضيف قائلة : « إن هذا لا أؤيده إطلاقا ، وترك المسؤولية للزوج لا يوجد فيه أي ظلم أو إهانة وهو بالنسبة لي دليل على وحدة العائلة » .

وسئلت : أليس رأيك بأن الزوج هو الرئيس فيه شيء من الرجعية ويعتبر من مخلفات الماضي ؟

وأجابت : إن المؤسسات الناجحة تميل إلى أن يكون شخص واحد فقط مسؤولاً عنها ويديرها ، إن شركات النفط ليس فيها رئاسة مشتركة ، ثم إنه لا يوجد مساعدون في البيت الأبيض ، هناك رئيس واحد فقط ، ونفس الشيء يجب

أن يكون للعائلة ، لأن من الأنجح في كل شيء أن يكون هناك صانع قرار واحد أو بالأحرى متخذ قرار واحد ، أنني أفضل من زوجي في الأعمال المنزلية وفي العناية بالأطفال - ولهذا فإنني أقوم بها - وأترك له تسيير بقية الأمور بما فيها شؤون البيت .

وهي تحرص دائماً على أن تذكر مستمعيها بأن زوجها هو المسؤول في البيت فتقول : « أولاً : أود أن أشكر زوجي فريد لسماحه لي بالمجيء إلى هنا والتحدث إليكم . . .

ولم تسلم هذه المرأة من التهديدات ولكنها تقول في ذلك : إنني لن أدع كل هذه الأساليب تحطم مبدئي وآرائي ، بل إنني لن أنزعج منها إطلاقاً ، لأنني على استعداد لأن أضحي بكل شيء في سبيل ما أومن به ثم تضيف قائلة : « إن المكاسب الحقيقية للنساء الأمريكيات هي مكاسب نظام المؤسسات الحرة التي قللت أعمالهن حتى أصبحت ساعات قليلة يومياً ، فهناك الآن الأطباق والملابس الجاهزة والتكييف وأنظمة التلفاز والأسواق المركزية ، وكل هذه مكاسب للمرأة ، ولكن هناك أيضاً تغييرات جعلتها غير سعيدة ، إن نسبة الطلاق عالية وكذلك الإجهاض ونسبة المواليد غير الشرعيين ، هناك ضعف عام وشيخوخة مبكرة في المرأة ، لأنها ليست سعيدة في حياتها الحالية . . .

الجريمة أصبحت مرتفعة والنساء أصبحن لا يشعرن بالأمان عندما يمشين في الشارع كما كان الحال في الماضي إنني أعرف عدد النساء العاملات في تزايد

مستمر ، ولكن إذا كان هؤلاء النساء سعيدات أم غير سعيدات فهذا أمر نسبي يعتمد على آراء الإنسان ومعتقداته .

أمام لجنة تحقيق :

وعندما مثلت أمام لجنة تحقيق في قضايا النساء اللواتي يتعرضن للاعتداء الجنسي قالت : « إن النساء اللاتي حدث عليهن الاعتداء ، هن اللاتي طلبن ذلك ، وكن في حقيقة الأمر الداعيات له . . . ثم قالت : « إننا نتوقع من الفتيات في المدارس العليا أن يتغلبن على هذه المشكلة ، فلماذا لا نتوقع نفس الشيء من النساء البالغات الأخريات ، إن معظم الرجال يعاملون النساء بالطريقة التي يتوقعون أنهن يردنها . . .

وبالنسبة للداعيات لتحرير المرأة اللاتي يردن أن يرين أن هناك تناقضاً في كون المرأة المهيمنة ناطقة باسم الملايين من ربات البيوت غير العاملات تقول : « لا يوجد في هذا أي تناقض ، أنني أعتني ببيتي وقد ربيت ستة أطفال وقد كبروا وأصبحوا في غير حاجة إلى رعايتي » .

وتعترف بأن زوجها قد كبح بعض طموحاتها ، وحتى في الوقت الحاضر يعترض في بعض الأحيان على برامج محاضراتها التي تبقيها بعيداً عن البيت يومين في الأسبوع في المتوسط ، وأنه كثيراً ما اضطرها إلى التخلى عن الالتحاق بمقرر

في القانون في إحدى الجامعات ، وعند ذلك تعتذر قائلة : « لقد غيرت رأيي تماماً كأي امرأة » ـ وعن هذه الطاعة الرائعة لزوجها تقول : « إن هذا ما يجب أن تفعله النساء الإيجابيات » .

قوة المرأة الإيجابية :

وللزعيمة النسائية الأمريكية كتاب بعنوان « قوة المرأة الإيجابية » وفي هذا الكتاب تورد أمثلة من النساء الإيجابيات اللاتي يسرن على النظام الذي تدعو إليه وتضرب أمثلة على ذلك الملكة فكتوريا وكاترين هيبورت ، وهو يدعو إلى الاهتمام بالبيت والأسرة وإلى ضرورة عودة المرأة إلى القيم والتقاليد الأمريكية المحافظة .

وهي تنوي القيام بحملة لتقوية العلاقات الأسرية ومقاومة الإجهاض والشذوذ الجنسي والضغط من أجل تعليم أفضل في المدارس ، كما أنها تنوي العمل لتحسين النظرة العامة للنساء اللاتي يفضلن عدم الانخراط في العمل والتفرغ للبيت وتقول في هذا : « إنني أذكر أن الأمهات كن طبقة محترمة جداً وأود أن أرى هذه الصورة وقد عادت ثانية » .

وقالت في محاضرة : « إن كل ما تذهب إليه حركات تحرير المرأة هراء في هراء ، وإن العمل الأساسي للمرأة يجب أن يكون العناية بزوجها وأطفالها ، لأن الله تعالى خلقنا من أجل ذلك ، ثم تقول : « إنني لا أعارض أن تعمل المرأة ، ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب إهمال بيتها وأطفالها ، إن حركات تحرر

المرأة الحالية تسبب قدراً كبيراً من الإجهاض والتوتر في المجتمع ، إن الاختلاف بين الجنسيين ، من أجل سعادة العالم والموضوع ليس موضوع مساواة بين الرجل والمرأة ، ولكن كون المرأة مساوية في الأهمية ، إن الرجل يجب أن يكون رب العائلة ، إذ لابد أن يكون هنا كابتن واحد لكل بيت ، والرجل يجب أن يكون هذا الكابتن » .

الرجل المسير :

الرجل المسير عنوان كتاب للكاتبة الأمريكية المعروفة السيدة « ايثير فيلار » تؤكد فيه الكاتبة أن الرجل مظلوم ، لأن المرأة بعدم قدرتها على التصرف السليم تعتمد عليه في تصريف شؤونها ، ثم تعود وتتهمه بأنه السبب في محنتها ، والرجل يقوم بذلك وهو يشعر بسعادة غامرة ، لأن المرأة نجحت في أن تدير العالم بصورة تجعل الرجل لا يشعر بالظلم ، بل على العكس تشعره بالسعادة والتفوق » .

وتحرص الكاتبة على : أن تحذر الرجل من مصيدة تنسجها له المرأة في العمل والدراسة ، فهذا انطباع قد يحدث عند رؤية أعداد النساء الكبيرة في الأعمال والجامعات ، هذا الانطباع قد يعني أن تغيرا جوهرياً قد حدث للمرأة وتقول الكاتبة : « أيها الرجل احترس فشغل المرأة الشاغل ـ هو البحث عن زوج ـ ومجالات العمل والدراسة هي الشباك التي توقع الفريسة المطلوبة » .

وقد ترجم الكتاب إلى ١٦ لغة ـ ويحمل الآن قائمة أكثر الكتب التي تباع في الغرب « مجلة زهرة الخليج الظبيانية بعددها الصدار في ١٩٨٠/٩/١ م » .

فتاة ترفض حركات التحرر النسائية :

وقد نشرت صحيفة الأخبار القاهرية بعددها الصدار في ٢٠/١٠/١٩٧٢ م ما يلي :

« أقيمت هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام حضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن وكل موضوع حديث الخطب التي ألقيت في حضور (الأميرة آن البريطانية) هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة ؟

وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، وقد رفضت الفتاة رفضاً باتاً الحركة النسائية وقالت : « إنني أريد أن أظل فتاة لها أنوثتها ، ولا أريد أن أرتدي البنطلون ، بمعنى تحدي الرجل وأنني أريد أن أكون امرأة وأن يكون زوجي رجلاً » وقد صفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة آن .

مأساة المرأة :

الليدي هاريلك ، زوجة اللورد هاريلك ، سفير إنجلترا في أمريكا ، وهي كاتبة متخصصة في المرأة تقول ، كما جاء في صحيفة الأخبار القاهرية عدد ١٩٧٧/٧/١١ م : « حقيقة إن أسهل شيء عند المرأة في هذه الأيام أن تعلن استقلالها وأنها تتساوى مع الرجل في العمل ، أما بالنسبة لمنزلها وعائلتها ، فهما يمثلان المرتبة الثالثة أو الرابعة ، وقد أزعجني جداً وأحرجني في نفس الوقت النساء يتفاخرن بأنهن لا يجدن الطهي أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل » .

وقد لاحظت الكاتبة : أن المأساة بالنسبة للمرأة ، أن تتخلى عن واجباتها الحيوية كامرأة ، أن تتخلى عن إقامة بيت سعيد ، أن تتخلى عن الطهي والحياكة وإنجاب أولاد ظرفاء ، أن تتخلى عن كل مسؤولياتها تجاه الأسرة مقابل أن تعيش كما تشاء ، إن المرأة التي تفضل حياة اللهو والاستهتار واللامسؤولية والمديح والثناء والجري وراء المودة والتفاخر بالجهل بأبسط المسؤوليات المنزلية ، تنقص من قدرها وتجعل من نفسها ضحية لتيار اللامسؤولية .

المساواة بين الجنسين وماذا تعني ؟

الدكتورة اليس روسي الأمريكية ألفت كتاباً عنوانه « المرأة في أمريكا » صدر عام **١٩٦٥** م وفيه تقول تحت مقال بعنوان : « المساواة بين الجنسين » إن المقصود بالمساواة بين الجنسين هو تخنيث أدوار النساء والرجال بحيث تتشابه أدوار النساء والرجال في مجالات النشاط العقلي والنفسي والسياسي والمهني ، ويتكاملان فقط في المجالات التي تفرضها الفروق التشريحية بين الجنسين .

وتضيف الكاتبة توضيحاً آخر فتقول : « إن المقصود بتخنيث الأدوار التي يريدها بعض الناس هو أن يعمد كل جنس إلى تبني وتنمية الخصائص والصفات التي كانت تخص الجنس الآخر وحده ، وذلك بأن نسمح للصبيان وهم صغار بأن يتصفوا بالصفات الأنثوية كالعذرية والطراوة ونتقبل منهم هذا السلوك عندما يكبرون ويصبحون رجالاً ، وفي نفس الوقت نسمح للفتيات وهن صغار بأن

يتصفن بالصفات الذكرية التي عرفناها في الصبيان كالجرأة وشدة المراس وأن نتقبل منهن هذا السلوك عند ما يكبرن ويصبحن نساء كاملات .

والمقصود بتخنيث الأدوار بصفة عامة ، هو توسيع دائرة التشابه والمشاركة بين النساء والرجال في التفكير وفي السلوك وفي العادات ، بحيث يصبح كل ما يصدر عن أحد الجنسين مقبولاً أيضاً من الجنس الآخر وبدون تمييز أو تفرقة .

مرحلة الضيـــاع :

رينيه ماري لوفاجيه ، رئيسة للجمعية النسائية الفرنسية تقول : « ان المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تصل بهما إلى مرحلة الضياع حيث لا يحصل أحد من الطرفين على حقوقه » صحيفة الأهرام القاهرية في ١٩٨٠/٥/٦ م .

ويقول الدكتور فيليبس لفنجستون الأستاذ بجامعة نيويورك : « ان بعض الأطفال في مراكز الرعاية ذوو تصرفات تصعب معالجتها عن طريق تعليمهم أفضل السبل لكي يصبحوا ذوى تصرفات طبيعية ، ومثل هذه الحالات لا يمكن معالجتها إلّا بحنان الأمومة وحب الوالدين » صحيفة العرب القطرية في ١٩٨٠/٣/٩ م .

أريد العودة إلى المنزل :

السيدة كريستيان كولنج الكاتبة الفرنسية المعروفة الفت كتاباً تحت عنوان « أريد العودة إلى المنزل » .

قالت فيه : انه إذا كان للمرأة طفل فهذا مشكلة وإذا كان لديها طفلان فإن المشكلة تصبح عشرة أضعاف ، أما إذا كان لديها ثلاثة أطفال فعندها تتضاعف المشكلة مائة مرة ، ذلك لأن للأطفال حاجات نفسية وعاطفية ومستلزمات جسدية أساسية ، لا تستطيع غير الأم توفيرها وانجازها بالقدر الكافي .

ثم قالت : ان المدنية التي لا تقدم العناية التامة للأطفال هي مدنية مهددة بالموت » .

مللت المســـاواة :

قامت مجلة ماري مكير « الباريسية » باستفتاء الفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل ٢٫٥ مليون عن رأيهن في الزواج من العرب ، وكانت الإجابة لـ ٩٠٪ منهن بنعم .

والأسباب كما قالتها نتيجة الإستفتاء :

- مللت المساواة بالرجل . . .
- مللت حالة التوتر الدائم ليل نهار . . .
- مللت الاستيقاظ عند الفجر والجري وراء المترو . . .
- مللت الاستيقاظ للعمل حتى السادسة مساء في المكتب والمصنع . . .
- مللت الحياة الزوجية التي لا يرى الزوج فيها زوجته إلّا عند النوم . . .
- مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلّا حول مائدة الطعام . . .

ومن الطريف أن العنوان كان : « وداعاً عصر الحرية والمساواة وأهلاً بعصر الحريم » .

وفي ألمانيا : قامت إحدى الهيئات بعمل استفتاء شمل عدة آلاف من الفتيان والفتيات في سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، وكان السؤال عن « أهم شيء تتطلبه آماله في الحياة الفردية في المستقبل وكانت النتيجة كالآتي :

- ٨٢٪ من البنين - النجاح في العمل .
- ١٢٪ فقط من الفتيات النجاح في العمل - والباقيات النجاح في الحياة الزوجية .

ومعنى هذا : « أن كل الجهود التي يبذلها أصحاب فكرة المساواة لم تؤت ثمارها ولم تصرف المرأة عن رغبتها في أداء وظيفتها الأصلية ، وعاد كل نوع يطالب بأداء وظيفته في المجتمع الإنساني . ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة المرأة تحتاج إلى نظرة موضوعية في الشرق والغرب ، تجعلهم يعيدون كل شيء إلى نظامه الطبيعي ، فيسعد الفرد وتسعد الأسرة ويسعد المجتمع الإنساني كله ويبتعد عن المشكلات الجسمية والنفسية المتنوعة التي حلت ، من جراء ذلك بعده عن **الأوضاع الطبيعية التي فطر الله الناس عليها** » .

الفصل الخامس

المرأة في الشريعة الإسلامية

علاقة مودة ورحمة :

خلق الله تعالى آدم ليكون خليفة في الأرض يقوم بعمارتها وإقامة العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل طبقاً لأوامر الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة/ ٣٠ وخلق حواء من آدم لتكون عوناً له في هذه الحياة ، يسكن إليها ويطمئن قلبه بها ، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها ، ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر ، وإلا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين في هذه الحياة هما المودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم /٢١ .

وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الأخرى من حب وانسجام ـ ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم ، وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فإن ذلك يؤدي إلى الاستقرار والاستقرار يؤدي إلى السعادة التي ترفرف على الرجل وعلى الأسرة كلها وبالتالي على المجتمع الإسلامي كله ، وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الأمور في نصابها ، وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين .

لقد حذر الله تعالى آدم وحواء من إبليس بقوله ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ طه /١١٧ .

وبهذه الآية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده ، ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضاً لقال فتشقيا بدلا من فتشقى ، كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك في قوله تعالى ﴿ واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ الليل .

ومهمة المرأة أن يسكن الرجل إليها فتخفف من آلامه وتهون عليه متاعبه وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج إليها الإنسان ، فحين يرجع إلى بيته يجد مصدرا من مصادر الحنان والعطف والرقة فهي زوجة ، فإذا وجد ذلك كله استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء

الحياة ، فالراحة التي فقدها في الخارج وهو متحفظ في ملابسه وفي مشيته وفي كلامه سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والطمأنينة .

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سكن وخير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتى وفاتها ، ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته .

ومن الأمثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة أم المؤمنين زوج النبي الكريم ﷺ في صلح الحديبية حين أشارت على النبي عليه الصلاة والسلام أن يتحلل من إحرامه ليتابعه الصحابة على ذلك وكان رأيها هو الرأي السديد .

ثم إن هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري وهي إنجاب الأطفال وتربيتهم التربية الكاملة المتكاملة التي يحتاج إليها الطفل ، ذلك لأن المرأة تتميز بالأمومة ، أي الإنتاج البشري وتربيته ويتجلى ذلك في قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ النحل /٧٢ .

مواطن الاشـــتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد ، فإنهما يشتركان في أشياء ، هي التي يشترك فيها الجنس الواحد ، فهما يشتركان في طبيعة التكوين للرجل والمرأة يقول الله تعالى ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق

منها زوجها ﴾ النساء /١ ، كما أنهما يشتركان في الكرامة الإنسانية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ الإسراء /٧٠ .

والرجل والمرأة يشتركان في الثواب والعقاب ، وكل ما يترتب على الإيمان من عمل ، فالمرأة كالرجل في حسابها على ما تقدمه من عمل ، ولقد أفاضت الآيات الكريمة في ذلك يقول الله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الأحزاب /٣٥ .

كما يقول الله تعالى ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل /٩٧ ، ويقول الله تعالى في آية أخرى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند الله ، والله عنده حسن الثواب ﴾ آل عمران /١٩٥ .

حقوق المرأة في الإسلام :

وللمرأة مثل ما للرجل في الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة

والإجارة ولها أن تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي قبل الزواج أو بعده ، وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء في أرقى المجتمعات الغربية حتى الآن ، فهي قبل الزواج تحت وصاية الأب أو الأخ ، وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج .

والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها ، فالزوج هو الذي يدير الأموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون إذن من الزوجة ، والزوجة لا تملك أن تبرم أي عقد بشأن هذه الأموال إلّا بموافقة الزوج يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : « إن حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الأوربية ، إن الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة ، فضلاً عن مهرها وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الإنفاق على أمور المنزل ، وهي إذا أصبحت طالقاً أخذت النفقة ، وإذا تأيمت أخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها .

وللمرأة في الإسلام حق التعلم فيقول الرسول الكريم ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقد طلب النساء من النبي صلوات الله عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن ، فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج ، فهي كالرجل يباح لها في أثناء الخطبة أن تنظر إليه وتستمع إلى حديثه بمقدار ما يعطيها انطباعاً بأنه مقبول لديها ، وذلك في حدود ما شرع الله تعالى وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل

عنه ورأيها ضروري لإتمام عقد الزواج وفي ذلك يقول الرسول عليه السلام (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر « تستأذن » وإذنها سكوتها) . ولو أن أباها زوجها دون علمها أو على الرغم منها ، فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد .

عدالة المنهج الإسلامي :

فالمنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء فلكل منهما وظائف معينة لحساب الإنسانية ، وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإسلامي ، بل والمجتمع الإنساني كله ، فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الإسلامي ، لأن الذي شرعه هو خالق الذكر والأنثى وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم .

والإسلام كرم المرأة ، فجعل لها الحق في النفقة والسكنى وألا تكلف بعمل خارج المنزل ، فإن حرفتها الأمومة وصناعة الأجيال وهي شرف صناعة وأهمها في هذه الحياة .

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي في ذلك : « والإسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم مثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شعيب ، إذ أن أباهما كان شيخاً لا يقوى على السعي وليس لهما أخوة من الذكور ، ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان ، بل تنتظران حتى يصدر الرعاء وهما بذلك لا تنسيان نوعهما ولا تزاحمان كما يزاحم الرجال ، وبالتالي فقد ظهر

في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في إعانة موسى لهما على السقى ، ومن هنا يتضح لنا أن تنظيم الإسلام للأسرة قائم على الفطرة التي تخصص المرأة لوظيفتها .

رعاية الإنتاج البشري :

وحين يخصص الإسلام المرأة للأسرة فإنما يخصصها لرعاية الإنتاج البشري ، وهو خير ما في الوجود ، ويعهد إليها بصيانة قدس من أقداس الإسلام، .... والمجتمع الإسلامي المحض هو الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته ويقوم بواجب الخلافة في الأرض ، ولذلك يجب ألا نشغل أعصابها بإعالة نفسها ، وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ، ثم بتوالي الإيام تتحول إلى جنس ثالث يعذب ويشقى .

ومن هنا فإن الإسلام لم يفرض على المرأة الجهاد : لأنها تلد الرجال الذين يحاربون ، وهي في هذا الميدان أقدر وأنفع :

أقدر - لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل.

وأنفع - بالنظر إلى مصلحة الأمة على المدى الطويل .

فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقى النساء ، تدع للأمة مراكز إنتاج الذرية فتعوض الفراغ ، ورجل واحد في النظام الإسلامي يمكن أن يجعل نساء

أربعاً ينتجن ويملأن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة الأمان ، فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن إليه الرجل ، وهي تكمله وهو يكملها ، والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة على المرأة .

والإسلام حين منح المرأة هذه الحقوق ، منحها لها دون طلب ودون جمعيات نسائية ، لأن الذي أعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بإمكانات كل منهما ، ومن هنا فقد جعل الإسلام الرجل رجلاً والمرأة امرأة وأودع كلاً منهما خصائصه المميزة له وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة وكلاً منهما مكملاً للآخر تحت ظل من المودة والرحمة . . . ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة بل مودة ورحمة .

المرأة ليست مكلفة بالعمل :

وحين يقول كارل ماركس : إن المرأة لابد وأن تعمل لتعيش ، فهو يتكلم عن مجتمع عاش فيه ، مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين . يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : « والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاء ، فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج ، والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة ، فليس المفروض أن يحدد الإنسان المستوى الذي يعيش فيه وبعد ذلك يحمل الدخول عليه » .

« والمفــروض أن يحدد مستــواه على قدر دخله ، وهــذا ما جعـل النـاس ينحرفون ، ولذلك فإن الإسلام لا يطلب من المرأة العمل ، فإن احتاج إليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي أن يكون العمل مخففاً والأجر مضاعفاً » .

ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها ، تعمل كالرجل وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الاجتماعي الطبيعي للمرأة ، من حمل وولادة ورضاعة وشؤون منزل ، وقد أثر هذا على الأبناء في تربيتهم يقول مسيو د . و . اس : « إن المرأة في الشرق تحترم بنبل وكرم ، وعلى العموم فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلى أي من نساء الشعب ، حتى في أثناء الشغب ، وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالأم درجة العبادة » .

وفي الشـرق لا نجـد رجـلاً يقـوم على إلـزام زوجته بالعمل ، ليستفيد من كسبها وفي الشرق يدفع الرجل مهراً إلى زوجته .

مواطن الاختـــلاف

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة ابعادها عن الإسلام ، والسير في طريق الغرب ، رغم أن الغرب يلاقى أنواعا من المتاعب والمشكلات ومن ذلك قيادة البيت .

ومن وجهة نظر الإسلام فإن قيادة البيت والإنفاق على الأسرة عملية تنظيم ولا تسيء إلى إنسانية المرأة أو تنتقص من حقوقها ، ولذلك يجب أن ينظر إليها في

إطار الأسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ النساء / ٣٤ .

وقيادة الرجل للأسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي إليه الشورى في الأسرة ، وليست قيادة سيادة أو استبداد وإن كانت الأصوات العالية في الغرب ، وفي الشرق أحياناً ، تحاول أن تصور ذلك والسبب : « أن عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الأحوال السوية إلى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ البقرة ١٨٧ .

وقد أعدت المرأة لدورها ، كما أعد الرجل لدوره ، فالمرأة مزودة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه المطالب ليست سطحية ، بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة ، ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة ، وهو بطيء الانفعال ، وذلك لأن وظائفه كلها ، تحتاج إلى قدر من التروي وإعمال الفكر . وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها .

الشهـــــادة :

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الإسلام : أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : إنهن ناقصات عقل ودين » ويجيب على ذلك الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول : « العقل بمعنى الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات

وذاكرة ، موجود عند الرجل والمرأة ، والرجل يستطيع بداية أن يتصرف في مدركاته تصرفاً يعطي له مزيداً من الإدراك » .

والعقل أيضاً حصيلة تجارب وثقافة ، وهو العقل المكتسب ، والمرأة مفروض عليها أن تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ، ولذلك كانت الآية الكريمة موضحة والسبب : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ البقرة / ٢٨٢ .

فالضلالة هنا ، ضلالة اختصاص ، ولذلك فإن المرأة تقبل شهادتها في شؤون النساء بدون شهادة الرجال ، كالرضاعة والولادة ، ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها ، وكذلك المعاملات في ميادين الرجال إذا اقتحمتها النساء فهنا الضلالة ، فالمرأة حين ترى شيئاً في الخارج فإنها لن تتغلغل في المسألة ، فقد يكون هناك شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه . . .

أما الرجل فمفطور على الحياة ، فليس له هذا التحفظ ، فالشهادة من الأشياء التي تريد من الإنسان أن يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة ، والمرأة نظراً لوضعها في أنوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصاً فيها ، بل كمال في جهتها في مهمتها في الحياة .

ويقول الدكتور محمد البهي : « المرأة المعاصرة التي تصر على طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية ، تتغاضى من أخص خصائص طبيعة المرأة ، وهي سرعة

الاستجابة لمؤثرات خارجية . . . هي أكثر من الرجل انعطافاً وانحناء على الآخرين وأكثر تصديقاً لأوضاعهم وأقوالهم ، إذا ما بدت هذه الأوضاع والأقوال في صورة جدية ، فالمساواة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها وانقباضها وانبساطها وإدبارها وإقبالها وتشددها وتلهفها ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة في ذلك ، رغم الفروق النوعية بينهما ، لكانت المساواة على حساب العدل بين الناس ، ولما كان فيها مصلحة تعود على المرأة ، لأنها حينئذ تكون ضد خصائصها .

والمرأة تتعرض لمؤثرات خارجية ذاتية ، تستجيب لها على نحو معين ، من غير أن تكون لها إرادة في الاستجابة ، والوظائف العامة أحوج ما تكون إلى استقرار القاضي وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية أو ذاتية تخضعه ـ حتما ـ لأوضاع نفسية أو بدنية ، قد تكون متناقضة .

الميـــــراث :

ومن الشبهات التي أثيرت حول المرأة في الإسلام : أن الإسلام لم يساوها في الميراث مع الرجل ونسوا أن المرأة في الجاهلية كانت مجرد متاع يورث لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمى القبيلة وكثيراً ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الأنثى ، حتى إن بعضهم كان يسارع إلى وأدها ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشـر به أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ النحل / ٥٨ ـ ٥٩ .

ولقد كانت المرأة الجاهلية إذا تزوجت ، ثم مات عنها زوجها ، سارع أحد أبناء زوجها للزواج منها إذا أعجبته أو بمنعها من الزواج حتى تفتدى نفسها بمبلغ من المال وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله ﴿ يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ النساء / ١٩ . كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون إذن من زوجها أو وليها . .

ثم جاء الإسلام ورد إليها اعتبارها فساواها في الإنسانية بالرجل فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنما النساء شقائق الرجال » وحرم وأد البنات وفرض على أوليائهن تعليمهن وأوجب على الرجل الإنفاق على المرأة ولو كان لها مال خاص ، وكذلك الإنفاق على الأسرة ، ولذلك فإنه لم يسو بينهما في الميراث لأن المرأة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للأسرة ، فهي الكاسبة على هذا الوضع ، وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤثراً يرشدها إلى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشري وبخصائصها في الأنوثة والأمومة والزوجية ، أي بخصائصها حتى لا تتحول إلى رجل أو شبه رجل ، ومساواتها بالرجل اقتصادياً واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية ، فهو يضعف إحساسها بالأنوثة ، كما يضعف إحساسها بالأمومة ، ويجعل هناك تراخياً في العلاقات الزوجية .

الطـــــلاق :

ومن الشبهات التي تثار حول الإسلام أنه أباح الطلاق ، فهو بذلك لا يباح

على من يحافظ على كيان الأسرة وأنه جعله في الرجل وفي هذا هضم لحقوق المرأة ، لعدم مساواتها بالرجل .

والإسلام دين واقعي : فهو قد أبعد عن الأسرة شبح الطلاق ، لأنه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى أبغض الحلال إليه يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (أبغض الحلال إلىالله الطلاق) وطلب من الرجلأن يصبر على زوجته حتى عند الكراهية يقول الله تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهو شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ النساء / ١٩ .

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين ، فإن الإسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ، ويلزمه باتباع ما من شأنه أن يعيد للأسرة استقرارها .

فالزوج : عليه أولاً أن يعظ زوجته وينصحها .

فإن لم يفد فيمكنه أن يهجرها في المضجع .

فإن لم يفد فيمكنه أن يضربها ضرباً غير مبرح .

وحين لا يؤدى ذلك إلى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها ، ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية أو استحالتها ، يقول الله تعالى ﴿ فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ النساء / ٣٥ .

وحتى الطلاق : لم يجعله الإسلام نهائياً من أول طلقة ، واشترط أن يقع الطلاق في حالة طهر وألا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين

الأولى والثانية ، فعسى أن تطمئن النفوس وتهدأ الأعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس فتعود المياه إلى مجاريها ، كل هذا من أجل المحافظة على الوحدة الصغيرة في المجتمع ، فإن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ البقرة / ٢٢٩ .

ويلاحظ أن منع الطلاق نهائياً شيء مثالي ، قد يصلح فكراً ولكن لا يمكن تطبيقه في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها .

الطلاق عند غير المسلمين :

لقد مكث الناس فترات طويلة في الغرب وفي الشرق غير الإسلامي ، فتراب طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق ، ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج ، كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا على أنفسهم ، حين كان ذلك هو الأسلوب الوحيد في بعض المذاهب المسيحية للحصول على الطلاق وحين يتم لهم ما يريدون يعودون إلى دينهم السابق .

ولقد أصبح معروفاً في المجتمعات البشرية ، أنه لابد من إباحة الطلاق فأقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه إلى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة .

ونشرت مجلة « الايكونوميست » البريطانية في عددها الصادر في

١٩٧٨/٥/١٩ م « لقد انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق ، مثل أستراليا ، يسمح بإنهاء أي زواج بعد أن يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد .

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢ م ، بالنسبة للأسر ذات أحد الوالدين : هو تكوين محاكم الأسرة وبما أن هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين في مشاكل الأسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق ، مثل الوصاية وكفالة الأبناء » .

ولكن السويد خطت خطوة أبعد من ذلك ، فقد نقلت الطلاق من القاضي إلى الزوجين معاً ، فإذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فإنه يتم بينهما دون حاجة إلى حكم القاضي ، ويكفي تسجيله في السجل المدني وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الأوربية ، لأنه يتجنب تعقيد الإجراءات القضائية من جهة ، كما يتجنب الكشف عن أسرار الزوجية من جهة أخرى .

ولقد كان الطلاق حقاً من حقوق الرجل ، لأن المرأة تحكمها العاطفة ، وحين مكنت المرأة من حق الطلاق في الغرب أصبح يحدث لأتفه الأسباب ، وفي أمريكا بلغت نسبة الطلاق ٤٨٪ عام ١٩٧٩ م .

وهناك أسباب عجيبة للطلاق مثل : أن تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم . أو لأنه لا يشركها في شؤونه ، ومع ذلك فلو اضطرت المرأة المسلمة أن تكون العصمة بيدها فإن ذلك من حقها . ثم إن لها الحق في أن تخلع

نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية . . يقول الله ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ البقرة / ٢٢٩ ، وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبي ﷺ .

الاحتفاظ بالرجولة والأنوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الإستغناء عنهما .

فإذا أراد أي نوع منهما أن يتشبه بالنوع الآخر فإن ذلك لا يبيحه الإسلام ، لأن هذا النوع الذي يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر ، ذلك لأن التوازن الأخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والأدبية ، والملبس أحد هذه العوامل ، فالشخص الذي يلبس لباساً رياضياً يشعر بأن روحاً رياضية تسري في جسده ولو كان ضعيف البنية ، والشاب الذي يلبس لباس الرجل العجوز يظهر أثر هذا اللباس على مشيتة وفي تصرفاته . . . ومن هنا كانت محافظة الإسلام على أن يظهر كل من الرجل والمرأة متميزاً في لباسه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لعن المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخاري وفي رواية (لعن المخنثون من الرجال والمترجلات من النساء) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه البخاري .

وقـد ذكـر رسـول الله عليـه الصلاة والسلام (أن ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم :

- رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء .
- وامرأة جعلها الله أنثى فترجلت وتشبهت بالرجال .

وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يلبس لبسة الحرير فقال : « إنما هذه لبسة من لا خلاق له » رواه الشيخان .

وعن علي رضي الله عنه قال : نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب وعن لبس القسى « نوع من الحرير » وعن لبس المعصفر .

تكريم الإسلام للمرأة :

لقد كرم الإسلام المرأة تكريماً لا نظير له في مجتمع من المجتمعات فالرسول الكريم ﷺ يقول : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلاّ لئيم » وقد كانت آخر عبـارة قالهـا رسـول الله ﷺ وهـو على فراش المـوت « استوصوا بالنساء خيراً » وفي السنن عن معاذ بن جندة القشيري أنه قالت :

« يا رسـول الله ما حق امـرأة أحـدنـا عليـه ؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسـوهـا إذا اكتسيت ولا تضـرب الـوجـه ولا تقبـح » ويقول عمر بن الخطاب : « والله إنا كنا في الجاهلية لا نعد النساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم » ويقـول الـرسـول عليـه الصـلاة والسـلام : « أكمـل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقـاً وخيـاركم خيـاركم لنسائهم » ويقول : « استوصوا بالنساء خيراً ،

فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن أردت أن تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجاً » رواه النسائي ، وهو بذلك يريد أن يتحمل الرجال تصرفات النساء ، ولقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك .

والمرأة إذا كانت أماً فقد كرمها الإسلام تكريماً رائعاً ، يقول الله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴾ لقمان / ١٤ ، لقد طلب الإحسان بالوالدين ثم خص الأم ثم طلب أن يكون الشكر لله وللوالدين . . وقد سأل أحد الصحابة النبي عليه الصلاة والسلام « من أحق الناس بصحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك » فقد ذكر الأم ثلاث مرات ثم ذكر الأب بعد ذلك ، لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والإرضاع ، ثم إن الأم بطبيعتها أضعف من الأب ، ولذلك فهي في حاجة إلى الرعاية أكثر من الرجل .

ومن هنا فإننا نرى أنه من الخطأ أن يراد للمرأة أن تأخذ موقعاً لم تهيأ له ، لأنهم أرادوا لها أن تتمرد على دينها في مجتمعنا الإسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة والتقدمية ، وهي شعارات براقة تخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الإنساني ، وسيؤدى ذلك إلى أنها ستشتغل بالخارج فتترك أمر بيتها ، وإذا خرجت المرأة إلى الشارع فإنها قد تخرج متبرجة وسيؤدي ذلك إلى انحراف المجتمع .

والإسلام ينشد للمرأة الكرامة فتكون إنساناً كريماً يقوم على توفير الاعتبار البشـري وهـذا الإنسـان العـالي يتبلور في إلـزام الـرجـل أباً أو ابناً أو أخاً أو زوجاً بالإنفاق على البنت والأم والأخت والزوجة ، ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت ، وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الأول في لقاء الرجل بها وسعيه إليها ، ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة ، ثم حرصها على دور الأم ، وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾

تم بحمد الله . . . .

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـة

الموضـــوع	الصفحـة

كتب تم نشرها

مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة

١ ـ قطر بلاد التقدم والرخاء / إعلامي (تسع لغات) .
٢ ـ المدخل إلى الرياضيات الحديثة / د . قيس الوهابي (العربية) .
٣ ـ دراسات عن العلاقات القطرية البريطانية
يوسف العبدالله (الإنجليزية) .
٤ ـ الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري
عمر بهاء الدين الأميري (العربية) .
٥ ـ التفاضل والتكامل / د . قيس الوهابي (العربية) .
٦ ـ فن الكاريكاتير (العربية والإنجليزية) .
٧ ـ مشروع دينا / د . قيس الوهاب (العربية) .
٨ ـ أبو سفيان بن حرب من الجاهلية إلى الإسلام
أحمد الجدع (العربية) .
٩ ـ دراسات حول اللغة اليوجاريثية القديمة في بلاد الشام وعلاقتها
باللغة العربية / لـؤي عجّان (الإنجليزية والفرنسية) .
١٠ ـ أبحاث خليجية (١) / للأستاذ أحمد العناني / (العربية) .
١١ ـ شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية
أحمد الجدع (العربية) .
١٢ ـ صفحات . . نفحات . . خواطر . . وذكريات . . وتجليات
عمر بهاء الدين الأميري (العربية) .
١٣ ـ شعر الببغاء : تحقيق ودراسة د . سعود محمود عبدالجابر (العربية) .
١٤ ـ الفن والتوافق الجمالي / د . نبيل الحسيني (العربية) .
١٥ ـ القوة الخفية / د . قيس الوهابي (العربية) .
١٦ ـ وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني / علي القاضي (العربية) .
١٧ ـ قطار العوانس / عبدالله عيسى (العربية) .
١٨ ـ صرخات ٠٠ آتيه (شعر) / عبدالسلام جادالله (العربية) .

كتب من توزيع المؤسسة

١ ـ مستقبل الإسلام خارج أرضه . . كيف نفكر فيه ؟
فضيلة الشيخ العلامة محمد الغزالي .
٢ ـ عائلة من فلسطين (قصه) / سعدي نصر .
٣ ـ عيناك . . والشطآن في حيفا (شعر) / عبد السلام جادالله .

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

١٤٥
لسنة
١٩٨٤ م